وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية بالمغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي(04هـ / 10م) من خلال كتب الرحلة

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر تخصص: دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط .

إعـــداد:
طلحة رحماني
مراد شنوفـــي

إشـــراف:
الدكتـــور:
توفيق مزاري عبد الصمد

السنة الجامعية:1435-1436هـ /2014-2015م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهـــــــداء

إلى الوالدين الكريمين إكراما لهما ونزولا عند رغبتهما وأمانيهما حفظهما الله .

إلى الإخوة والأخوات .

إلى جميع الأصدقاء الأعزاء والأقارب

إلى عمتي أطال الله في عمرها .

إلى جدّي (عبد الله)، وجدّتي (وردة)

..... رحمهما الله .

طـلحة

إهـــــــداء

إلى من قال فيهما حقهما المولى عز وجل : (فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا).....**وَالِديَّ الكريمين** .

إلي جميع الأصدقاء والأقارب وكل من عرفته من بعيد أو من قريب .

.....أهدي هذا العمل المتواضع

مـــــراد

كلمة شكر

نشكر الله عز وجل الذي نوّر عقولنا بالعلم والمعرفة وأنار لنا دربنا وأعاننا على ما فيه الخير والصلاح .

نتقدم بوافر الشكر والإمتنان الى كل من أعاننا في إنجاز هذه المذكرة ونخصُّ بالذكر الأستاذ المشرف **"مزاري عبد الصمد "** والأستاذ **" يسعد أحمد "** اللذان لم يبخلا علينا بإرشاداته و ونصائحهم القيمة .

ونشكر كل من ساهم من قريب أو
بعيد في إنجاز هذه المذكرة

● **قائـــمة المختصـــرات :**

مج : مجـــلد

ج : جـــزء

ط : طبعـــة

د ط : دون طبعة

د ت : دون تاريخ

تح : تحقيـــق

تع : تعليـــق

تر : ترجمـــة

ص : صفحة

مقدمـــــــــــــــــــــــة

مقـــــــدمة :

التعريف بالموضوع :

عرف المغرب الأوسط على امتداد تاريخه تطورات هامة في مختلف المجالات، فقد كانت بداية القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي، فترة شَهِدت العديد من التطورات السياسية، والتي كان لها الأثر الواضح على الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية ببلاد المغرب الأوسط .

إن دراسة هذه الأوضاع في بلاد المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري(04 هـ /10م) من خلال كتب الرحلة، موضوع إستدعى تحديد ودراسة أهم الدول التي كانت في هذه الفترة الزمنية، وتمثلت في الدّولتين الفاطمية والزيرية، والتي سنتتبّع فيهما الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في حدود الزمان والمكان موضوع الدراسة، و إعتمدنا خلال البحث على كتب الرَّحالة والجغرافيين المسلمين، الذين عَايشُوا تلك الفترة، وعلى الذين كانوا بعدها، وتكلموا عن بلاد المغرب الأوسط.

دواعـــــــي إختيار الموضوع : ترجع أسباب إختيارنا لهذا الموضوع إلى الآتي :

– أن جُلَّ الدراسات التاريخية المتعلقة ببلاد المغرب الأوسط في فترة القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (04 هـ / 10 م)، لم تحظَ بإهتمام الباحثين خاصة في الجانبين الإقتصادي والإجتماعي من خلال كتب الرحلة .

– أن موضوع دراستنا يتطرق إلى تاريخ بلادنا (المغرب الأوسط – الجزائر حاليا –)، وهذا ماحفّزنا للخوض فيه .

– ومن بين الدّوافع الأخرى التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هو الإبتعاد عن البحث في المواضيع السياسية التي أفاضت كتب التاريخ بذكرها، وتناولها الباحثون بالدِّراسة والبحث .

– إضافة إلى أن بلاد المغرب الأوسط لم تنل بعد حظّها من البحث والدراسة، مثلما هو حَالُ جيرانها المغاربة – تونس (المغرب الأدنى)، المغرب (المغرب الأقصى) –

أهمية الدراســـــــــة : تتجلّى أهمية الدراسة في العناصر الاتية :

– إن الاعتماد على كتب الرّحالة في الموضوع المتعلق بالجوانب الاقتصادية يُبين لنا الكثير من أماكن الظل، التي ربما لم يُعثر عليها في كتب التاريخ الأُخري، ذلك أن الرّحالة يقومون بتدوين ماشاهدوه أثناء مرورهم أو إقامتهم هناك، فيصفون لنا الحوادث التاريخية وصفا دقيقا .

– كذلك تظهر أهمية الدراسة من خلال الوصـــول إلى معرفة الحياة اليومية لـــمجتمعات تلك الفترة من عادات وتقاليد، واحتفالات، إضافة إلى التعرف على الطرق والمسالك التجارية .

إشكالية الدراســــــــــــــة : من خلال البحث والدِّراسة في هذا الموضوع إرتــأينا أن نُجيب على إشكالية كبرى، وهي محل النِّقاش والتساؤل وتتمثل في الآتي :

● هل إستطاع الرّحالة المسلمون في وصفهم لبلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرّابع الهجري أن يُلموا بأوضاع هذه المنطقة في جوانبها الإقتصادية والإجتماعية ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية الهامة، وجَدنا من الأهمية بِما كَان أن نُجيب على مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي :

– من هم أهم الرّحالة والجغرافيين الذين تناولوا هذه الجوانب ؟ وهل أثناء تناولهم لهذه الجوانب كانت العوامل السياسية عاملا مُحفِّزا ؟

– وفي تناولهم للجانب الإقتصادي للمغرب الأوسط، مامدى إدراكهم للأوضاع التي ميزت المنطقة في هذا القرن ؟

– وهل إستطاع هؤلاء الرحالة أن يَبلغُوا في الجانب الإجتماعي مابَلغوه في الجانب الإقتصادي من الوصف خلال هذه الفترة ؟

الدّراسات السابقة للموضوع : يبدو أن الدِّراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع محدودة على حسب إطلاعنا، ونذكر منها :

– جودت عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصــــادية والاجتمـــاعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثـــالث والرابع الهجريين (09 _ 10 م)، والتي نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر، ثم طبعت في كتاب .

– رفيق بوراس، الأوضاع الإجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية، رسالة ماجستير من جامعة قسنطينة، (حيث أن هذه الرسالة إهتمت بالجانب الإجتماعي فقط في العهد الفاطمي) .

المنهـــــــج المتبـــــــــــع :

إعتمـــدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الوصفي، الذي ينصب على وصف الوقـــائع والأحداث التاريخية، وذلك أن الرّحالة يصفون لنا أثناء رحلاتهم كل ماشاهدوه وصفا دقيقا، فيصفون المنطقة وحدودها الجغرافية، فهم يطلعوننا بمعلومات تاريخية هامة، لاسيما فيما يتعلق بعادات وتقاليد أهل المغرب الاوسط، إضافة إلى معلومات تاريخية مهمة .

الخـــــطة المعتمدة في الدراسة :

قمنا بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة .

أما المبحث الأول فقد كان مخصصا للحديث عن فن الرحلة، والأوضاع السياسية العامة ببلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي، وقد نوّهنا فيه إلى مفهوم الرّحلة وأسبابها، ونماذج عن بعض الرّحالة والجغرافيين المسلمين في المغرب الأوسط في الفترة محل الدراسة، إضافة إلى تحديد مفهوم المغرب الأوسط و ذكر إطاره السياسي و أهم مدنه .

أمّا المبحث الثاني فتناولنا فيه الأوضاع الإقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، حيث عرّجنا على النظام الزراعي، وأهم طرق الزراعة المتداولة ومدى إزدهارها، إضافة إلى أهم الصناعات التي كانت سائدة آنذاك، مع تحديد شبكة الطرق والمسالك التجارية وذكر الأسواق والسلع، إضافة إلى التبادل التجاري عبر الموانئ .

أما المبحث الثالث فقد تكلمنا فيه عن الأوضاع الإجتماعية، والتي ذكرنا فيها طبقات السكان ومظاهر الحياة الإجتماعية من عادات وتقاليد، إضافة إلى المرأة ودورها في المجتمع .

و ختمنا بحثنا هذا بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة للنتائج المتوصل إليها .

التعريف بأهم المصادر :

– كتاب " صورة الأرض " لابن حوقل (ت : 367 هـــ / 978 م)، الذي زار بلاد المغرب الإسلامي (حوالي سنة 330 هـــ / 841 م)، فهو من المصادر ذات الأهمية البالغة من خلال إهتمامه بوصف الحدود الجغرافية للمدن، كما أطلعنا بدوره عن معلومات تاريخية هامة، وأثرى بعض أجزاء كتابه بنصوص تاريخية لم ترد في مصادر أخرى، مثل كتب التاريخ العام خاصة فيما يتعلق ببعض أخلاق وعادات أهل المغرب الإسلامي، كما زودنا بمعلومات إقتصادية هامة .

– كتاب " المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب " للبكري (ت : 481 هـــ / 1094م) حيث نقل لنا معلومات هامة عن بلاد المغرب الإسلامي، وثرواته الإقتصادية، إضافة إلى ذكرالأوضاع الإجتماعية، والتوزيع الجغرافي لأهل الذمة من النصارى واليهود في المنطقة .

– كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " للمقدسي (ت : 378هـــ / 988 م)، وقد تميز عمل المقدسي بثرائه بالمادّة الجغرافية، ويعتبر كتابه من أهم المصادر في علم الجغرافيا، وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الأقاليم، لأنه قدم في مؤلفه معلومات فريدة لم يسبقه إليها باحث في هذا المجال حيث أنه وضح البلاد التي كتب عنها وزارها بالرسوم والخرائط .

صعوبات الدراسة : من بين الصّعوبات التي واجهتنا أثناء قيامنا بالبحث نذكر

– صعوبة تحديد الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط، وذلك أن الرّحالة قد اختلفوا في ضبط حدوده.

– صعوبة التّقيد بالإطار الزماني والمكاني، ففي كثير من الأحيان كنا نذكر بلاد المغرب الإسلامي عموما، ونستدل بها في بلاد المغرب الأوسط، وذلك نظرا لنقص المصادر التي تتحدث عن الموضوع محل الدراسة في بلاد المغرب الأوسط .

– قلّة المادة المصدرية التي تناولت موضوع الأوضاع الإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري .

المبحث الأول : فن الرحلة والأوضاع السياسية العامة بالمغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

أولا : الرحلة والرحالة المسلمين

1 - مفهوم الرحلة

2 – أسباب ودوافع الرحلة

3 – نماذج لأشهر الرحالة والجغرافيين المسلمين في بلاد المغرب الأوسط

ثانيا : الأوضاع السياسية العامة بالمغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

1 – مفهوم المغرب الأوسط

2 – الإطار السياسي للمغرب الأوسط

3 – بعض مدن المغرب الأوسط

المبحث الأول : فن الرحلة والأوضاع السياسية العامة بالمغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي (04 هـــ / 10 م)

أولا : الرحلة والرحالة المسلمون

1 – مفهوم الرحلة :

أ / لغة : لقد حظيت مادة (رحل) بشرح واف في العديد من المعاجم العربية، فقد وردت في لسان العرب لابن منظور على النحو الآتي : " التّرحيلُ والرِّحال بمعنى الإشخاص والإزعاج . يقال رحَلَ الرجل إذا سار، وأرحلتهُ أنا . ورحلَ رحولٌ وقوم رُحّل أي يرتحلون كثيرا . ورجل رحّال : عالم بذلك مجيد له . . . "[1] .

وورد لفظ الرّحلة في موضع آخر بمعنى : الإنتقال من مكان إلى مكان آخر " ... والرّحلة إسم للإرتحال للمسير ... "[2] .

ومن معاني الرّحلة كذلك التي وردت في لسان العرب : الوجهة والمقصد " والرّحـــلة بالضم ، الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم "[3] .

إن لفظ رحلة يطلق على عدة معاني، فقد جاءت بمعنى السير والإنتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه، أو إقتراب وقت الرحيل، ولهذه المعاني كلها كان لفظ" رحلة " يطلق على من انتقل من مكان ألى آخر، ومنه أخذ لفظ (رحّال) وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر [4] .

ب / اصطلاحا : تعددت مفاهيم الرّحلة في الإصطلاح إلا أنها تصب في معنى واحد، فيعرفها الدكتور صلاح الدين الشّامي في كتابه (الرّحلة عين الجغرافيا المبصرة) بأنها : " تظل إنجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه "[5] .

---

[1]– ابن منظور، **لسان العرب**، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، مج 03، 01، د ط، دائرة المعارف، القاهرة، د ت، ص 1609 .

[2]– المصدر نفسه، ص 1611 .

[3]– المصدر نفسه، ص 1611 .

[4]– يسمينة شرابي، **الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري** ، مذكرة ماجستير (مرقونة)، المشرف : الدكتور علي لطرش، كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة، السنة الدراسية : 2012 / 2013 م، ص 23 .

[5]– صلاح الدين علي الشامي، **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية** ، ط 02، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص 11.

ويعرفها الدكتور عبد الحكم الصعيدي في كتابه (الرحلة في الإسلام) بأنها : " الإنتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا ... "[1] .

ج / في القرآن الكريم والسنة النّبوية : لم يدع الإسلام وسيلة من الوسائل التي تفيد الإنسان، إلا وحثّه على فعلها ومنها الرّحلة، فقد حفل القرآن الكريم بالأمثلة العديدة، على الرّغم من عدم ورود لفظ (رحلة) إلا مرّة واحدة في سورة قريش[2] ، قال تعالى : " لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ "[3] .

ففي هذه السورة ارتبطت الرّحلة بالتجارة، والتي كان يقوم بها أهل مكة صيفا إلى اليمن وشتاء إلى الشام، كما ورد لفظ (رحل) في القرآن الكريم بمعنى البعير (الرّاحلة) في قوله تعالى : " فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠ "[4].

أمّا إذا عرّجنا على السنة النبوية الشّريفة، نجد أن الرّسول – صلّى اللّه عليه وسلم – كان يشجع أصحابه على الرّحلة، ويحثّهم عليها بغية طلب العلم ونشر الإسلام، وكذا التأمل في هذا الكون والتّدبر في آيات الله تعالى، ومن أحاديث الرّسول – صلى اللّه عليه وسلم – التي يحث فيها على الرحلة لطلب العلم نذكر : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " مَن سَلَكَ طريقاً يَلتمسُ فِيهِ عِلمًا سهّلَ الله به طَرِيقًا إلى الجنة "[5] .

ولعل عناية ديننا الحنيف بالرّحلة والحث عليها راجع إلى فوائدها ومنافعها الجمة التي تعود على الفرد بل على الأمة كلّها، لأن أرض الله واسعة، والله سبحانه وتعالى لايأمر عباده بشيء إلاّ وكان وراءه خير كبير، لذلك كانت الرحلات ممّا يزيد علما بقدرة الله وحكمته .

---

[1] – عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، **الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**، ط 01، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، 1996، ص 15.

[2] – عواطف محمد يوسف نواب، **الرّحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين – دراسة تحليلية –**، د ط، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص 29 .

[3] – **سورة قريش**، الآية (1 ، 2 ، 3 ، 4) .

[4] – **سورة يوسف**، الآية 70.

[5] – سنن ابن ماجة، **باب فضل العلماء والحث على طلب العلم**، الحديث رقم : 225 .

وعليه فمن خلال التطرق إلى مفهوم الرّحلة في اللغة والإصطلاح ، وكذا في القرآن الكريم والسّنة النبوية، نجد أنها تشترك في معنى واحد وهو : الانتقال من مكان إلى آخر .

2 – أسباب ودوافع الرّحلة :

لقد عرف المسلمون أهمية الرّحلات، فقاموا بالعديد منها لأسباب ودوافع متنوعة نعالجها على النحو الآتي :

أ / رحلات الحج : الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا، لقوله تعالى : " لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ "[1] .

وعليه كان الحج من بين الأسباب الرئيسية للرّحلة، حيث يقوم المسلمون على تلبية هذه الدعوة الكريمة بكل حماس، فكانت مكة ملتقى المسلمين يأتون إليها من كل فج عميق فيتعارفون ويتبادلون الآراء والمنافع والأخبار، و لم يكن الوصول إلى مكة سهلا لكل المسلمين بل كان بعضهم يقطع آلاف الكلومترات للوصول إليها، كما هو الحال لأهل المغرب، وكان بعض الرحالة يكتبون مايشاهدون من عجائب وغرائب وهم في طريقهم إلى الحجاز[2] .

لقد كان الحج من أغنى الينابيع التي زودت المسلمين بالمعلومات، إذ صاحب عودة الحجاج إلى بلادهم سرد الكثير من القصص والأخبار التي سمعوها في طريقهم، ووصف المشاهدات التي رأوها في سبيلهم، وقد قام بعض الحجاج واسعي الثقافة بتدوين مشاهداتهم بعد عودتهم لينتفع بتجاربهم سائر المسلمين، ولتساعدهم على أداء مناسكهم، ومن ثم زخرت كتبهم بأحوال سكان البلاد الإسلامية وطبيعة مزاجهم، وأسس إقتصادهم، وينابيع ثروتهم ورخائهم[3] .

ويذكر كثير من الرّحالة أمثال (ابن جبير) و (ابن بطوطة) و (التجاني)، أن هدفهم الأساسي في بداية رحلاتهم كان حجَّ بيت الله الحرام، لكنهم كانوا يتخلّفون في بعض المدن الإسلامية ذات المكانة العلمية، وقد دوّن هؤلاء الرّحالة أنباء الفقهاء والأولياء وكل ماله صبغة دينية، فابن بطوطة يذكر في رحلته السبب الذي دفع به إلى الخروج من وطنه إلى المشرق قائلا :

---

[1] – **سورة الحج**، الآية : 28 .

[2] – محمد محمود محمدين، **الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان**، ط 02، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، 1996، ص ص 178 – 179 .

[3] – إبراهيم أحمد العدوي، **ابن بطوطة في العالم الإسلامي**، د ط، دار المعارف، مصر، 1954، ص 08 .

" كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرون وسبعمائة، معتمدا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرّسول عليه أفضل الصلاة والسلام . . . "[1] .

وهناك رحّالة شأنهم شأن ابن بطوطة تعلقوا بزيارة الأماكن المقدسة، وشدّهم الشّوق لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، فدوّنوا ماسمعوه وشاهدوه في رحلتهم حتى يستفيد منها الآخرون .

ولعل من أهم بواعث الرحلة وأعظمها شأنا عند المسلمين تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرّسول – صلى الله عليه وسلم – وقد سجل النابهون من هؤلاء الحجاج مشاهداتهم وإرتساماتهم وأحاسيسهم، وكذا الطّرق والدّروب التي مرّوا بها وسَلكوها والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة[2] .

ب / الرّحلات العلمية : وهي الرّحلات التي كان هدفها السّعي إلى طلب العلم، عملا بقول النبي – صلّى الله عليه وسلم – " طَلَبُ العِلمِ فَرِيضة عَلَى كُلِّ مُسلمٍ ومُسلمةٍ " [3] ، فالرّحلة العلمية ظاهرة مألوفة عند المسلـــمين في جميع الأقطار شرقها وغربها، وقد أورد المقري (ت: 1041هـــ/1631م) أسماء مايزيد عن مائتين وثمانين شخصا رحلوا إلى المشـــرق لطلب العلم[4] ، معترفا رغما عن ذلك أنه لم يستوعب كل الأسماء، وقد أصبح من عادة طالبي العلم أن يَسيحوا في البلاد للقاءِ الشّيوخ ومجالسة العلماء، والإطلاع على الكتب، وزيارة الأولياء، ومنهم من كان إذا حصّل القسط الوافر من العلم فإنه يطوف بالأقطار الإسلامية ليلـــقى العلماء، ويعلّم ويدعو ويفقّه[5] .

قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – " من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع "، وفي حديث آخر قال : " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة "[6] .

---

[1] – ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله)، **رحلة ابن بطوطة المسماة " تحفة النظار في في غرائب الأمـــصار وعجائب الأســـفار "**، تحقيق : عبد الهادي التّازي، مج 01، د ط، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص 153 .

[2] – أحمد رمضان أحمد، **الرّحلة والرّحالة المسلمون**، د ط، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدّة، د ت، ص 13.

[3] – سنن ابن ماجة، **باب فضل العلماء والحث على طلب العلم**، الحديث رقم : 244 .

[4] – محمد محمود محمدين، المرجع السابق، ص 177 .

[5] – فؤاد قنديل، **أدب االرّحلة في التراث العربي**، ط 02، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002، ص 211 .

[6] – سنن ابن ماجة، **باب فضل العلماء والحث على طلب العلم**، الحديث رقم : 225 .

وعليه فقد كان للرّحلات العلمية دور هام وكبير، ويظهر ذلك جلّيا من خلال ماكان يقوم به الرّحالة من قطع للمسافات لأجل معرفة معلومة، ومحاورة عالم،حيث يقول ابن خلـــــدون: " في أن الرّحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التّعلم، والسّبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد إحتكاما وأقوى رسوخا. . . فالرّحلة لابدّ منها في طلب العلم لإكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال...)[1].

ج / الرّحلات الإدارية والسياسية : وتسمّى كذلك رِحلة السّفارة، وهي رِحلة رسمية يقوم بها الرّحالة بطلب من الحاكم لقضاء حاجة قد تتعلق بشأن البلاد، كما قد تخص الحاكم نفسه، بل إن هذا النوع من الرّحلات قد يكون بهدف التجسس والإستطلاع، كرحلة سلام الترجمان عام (227 هـــ / 841 م)، والتي كانت بتكليف من الخليفة الواثق بالله قصد معرفة حقيقة سدّ الصين الكبير، الذي يقال إن الإسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج ومأجوج[2] .

إن الرّحلات الإدارية والسياسية وإن كانت مرتبطة بتنفيذ طلب الحاكم إلا أنها تكسب الرّحالة معلومات هائلة، فابن بطوطة مثلا معروف أن رحلته كانت رحلة دينية لغرض أداء مناسك الحج، ولكن رغبته في السفر جعلته يواصل الرّحلة بعد فريضة الحج ليختاره سلطان الهند كسفير له في الصين : " . . . بعث إلي السّلطان خيلاً مسرّجة وجواري وغلمانا وثيابا . . . ولما وصلت إلى السّلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهده، وقال لي إنما بعثت إليك لتتوجه عني رسولا إلى ملك الصين، فإني أعلم حُبك في الأسفار والجولان، فجهّزني بما أحـــتاج إليه . . . "[3]، فقد كانت رحلته ذات دافع ديني في الوهلة الأولى، لتشمل بعد ذلك عدة جوانب ومجالات مختلفة (علمية ، إدارية ....) .

وقد كانت الرّحلات الإدارية أوالسياسية تقوم بدوركبير في خدمة شؤون الدولة الإسلامية التي ترامت أطرافها، وأصبحت هناك حاجة إلى معرفة الطُّرق ومراحلها وتحديد المسافات، وَوَصفِ ذلك وصفا دقيقا، ومن هنا ظهرت كتب المسالك والممالك التي تولت وصف الطرق ومنازل

---

[1] – عبد الرحمان ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تح : خليل شحادة ، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص ص 744 – 745 .

[2] – شوقي ضيف، **الرّحلات**، ط 04، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص09.

[3] – ابن بطوطة، المصدر السابق، مج 03 .

البريد، وكانت مثل هذه الرحلات الخاصة بالتعرف على أحوال أقطار العالم الإسلامي تهتم بالظروف الإقتصادية من حاصلات زراعية ونشاط تجاري، وذلك لتقدير قيمة الخراج، كما كانت بعض الرّحلات توفد إلى أقطار الأعداء لجمع المعلومات عنها[1] .

د / الرّحلات التجارية : استمرت الرّحلات التِّجارية التي إشتهر بها العرب (رحلة الشتاء والصيف) في ظل الإسلام، وازدهرت نتيجة لاتساع الدولة وسهولة التنقل في داخل أقاليمها، إلى جانب إلتقاء المسلمين في موسم الحج، فكانوا يعقدون الإتفاقات والصفقات التجارية، ومما ساعد كذلك على الرحلات التِّجارية وحدة الثقافة والدين في أقطار العالم الإسلامي .

فالتجارة كانت من أهم الدوافع التي دفعت الرحالة إلى تدوين رحلاتهم حتى يعينوا الآخرين على معرفة طرق التجارة البرية والبحرية، ولعل أول ما ارتبطت به هو علم تقويم البلدان والمسالك والممالك، والتي كانت تهتم بوصف الطرق وطبيعة المناخ والعديد من الأوصاف الأخـــرى ، ومن ذلك نذكر وصف الطرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج، إضافة إلى تسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان والبقاع، وكانت التجارة في موسم الحج ضرورة من ضروريات الحاج والمسافر، إذ لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة[2] .

وبذلك كانت التجارة من العوامل التي تشجع على الرّحلات وتنشطها، كما أن ازدهار الحضارة الإسلامية وسيادة المسلمين في البر والبحر، وطبيعة الدين الإسلامي، كل ذلك من شأنه أم يشجع على الأسفار والرّحلات "[3] .

إن الرحلات رغم أغراضها وغاياتها المختلفة، إلا أنها أضافت كثيرا إلى المعرفة الجغرافية، لأنها كانت مصدرا مباشرا للمعلومات الجغرافية، وهذا مانجده عند معظم الرّحالة المسلمين الذين اعتمدوا في كتاباتهم على المعلومات التي جمعوها أثناء رحلاتهم وأسفارهم .

3 – نماذج لأشهر الرّحالة والجغرافيين المسلمين في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي (04 هـــ / 10 م) :

أ / الإصطخري : هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري، يعرف في بعض الأحيان باسم الكرخي، ينتمي الى إصطخر وهي مدينة في بلاد فارس [4]، عاش في النصف الأول من القرن

---

[1] – محمد محمود محمدين، **التراث الجغرافي الإسلامي**، ط 03، دا العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1999، ص 138 .

[2] – يسمينة شرابي، المرجع السابق، ص 29 .

[3] – زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، د ط ، دار الرائد العربي ، بيروت (لبنان)، 1981، ص 36 .

[4] – علي بن عبد الله الدفاع، **رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الاسلامية**، د ط، مكتبة التوبة، د ت، ص 102 .

الرابع هجري (العاشر ميلادي) ، ولانعرف عن ترجمة الإصطخري إلا القليل، ويبدو أنه ولد بإصطخر وتحوّل إلى دار السلام وتوفي سنة (340 هـ / 951 م) أو بعدها[1] .

وقد اعتمد الإصطخري في تصنيف مؤلفيه : (كتاب الأقاليم ، وكتاب المسالك والممالك)، على رحلاته لطلب العلم والمعرفة في الآفاق الإسلامية، وعلى مانقله من كتاب (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي[2] .

وقد وضّح الإصطخري كتابه الأول بالخرائط [3]، وزار الإصطخري معظم البلاد الإسلامية، لذا ألف عن بصيرة كتاب (المسالك والممالك)، حيث تميز عن غيره بكثرة الخرائط التي استخدمها كوسائل للإيضاح، وقد قدم في كتابه هذا دراسة مفصلة عن بلاد العرب والهند والأندلس والمغرب وصقلية وبلاد الشام والعراق وغيرها[4] .

ولعل من الأخبار التي إنفرد بها الإصطخري عند وصفه للبلدان والمدن، هو عنايته بتتبع أخبار أهلها[5]، ويستعرض منهجه العلمي الذي اتبعه في كتابه (المسالك والممالك) فيقول : " . . . فإني ذكرت في كتابي هذا أقاليم الأرض على الممالك، وقصدت منها بلاد الاسلام ، وتفصيل مدنها، وتقسيم مايعود بالاعمال المجموعة إليها . . . "[6] .

لقد اتخذ الإصطخري الخرائط الجغرافية التي تزخر بها مؤلفاته، وسيلة للشرح وإبراز الأفكار الجغرافية، كما ركز على طريقة المقارنة بين المدن، واتسمت كتاباته بالتركيز الشديد، وشكلت حدود كل قطر كما المسافات وطرق المواصلات، كما يذكر في بعض الأحيان تفاصيل متفرقة .

---

[1] – أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 80 .

[2] – هو أحمد بن سهل البلخي، ويعرف كذلك بأبي زيد عاش فيمابين (235 هـ / 322 هـ)، ولد في قرية شامستان بالقرب من بلخ، وتوفي هناك، درس في بداية حياته العلوم الشرعية واللغوية على يد كبار مفكري بلخ، فتمكن منها وصار مدرّسا ناجحا فيها، ولكنه لم يكتف بذلك بل غادر مسقط رأسه الى بغداد، لكي يتتلمذ على يد جهابذة العلم هناك، حيث كانت بغداد مركز الحضارة العربية الإسلامية آنذاك، وقد ذهب أبو زيد البلخي الى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج والعمرة، فاجتمع ببعض علماء العرب المسلمين المشتغلين في الفلك والجغرافيا والأدب والفقه، فتبادل معهم الرأي في الكثير من الأمور الخاصة بالعلوم الشرعية والجغرافية، ونتج عن ذلك تأليفه (كتاب صور الأقاليم)، والمعروف أحيانا باسم (اشكال البلاد) أو (تقويم البلدان) سنة 358 هـ، والذي نال به شهرة عظيمة ليس فقط بين معاصريه، بل حتى التابعين له الذين جاءوا من بعده . انظر كتاب رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الاسلامية، المرجع السابق، ص ص، 92 – 93 .

[3] – زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 36 .

[4] – علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 103 .

[5] – أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 82 .

[6] – الإصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي)، **مسالك الممالك**، د ط، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، د ت، ص 02 .

وخلاصة القول أن أبا إسحاق الإصطخري حاول أن يصحح الأخطاء الجغرافية التي وقع فيها علماء الجغرافيا السابقين له، علما أنه كان من المعجبين بكتاب البلخي في الجغرافيا، واعتبره من المصادر الأساسية عند تأليفه كتاب المسالك والممالك[1] .

ب / ابن حوقل : هو محمد بن علي البغدادي الموصلي، يكنى بأبي القاسم ويلقب بابن حوقل، لانعرف متى ولد ولكن الثابت أنه توفي بالأندلس سنة (367 هـ / 977 م)، نمى ابن حوقل وترعرع في بغداد، وتلقى تعليمه على يد جهابذة الفكر والعلم هناك، إلا أنه غادرها سنة 331 هـ، متجها إلى المغرب ثم إلى صقلية[2] .

لقد ظهر اهتمام ابن حوقل بالجغرافيا مبكرا، ومما حفّزه على ذلك هو مقابلته للإصطخري عام (340 هـ / 951 م) والتي يرويها في كتابه صورة الارض [3]، وكان ابن حوقل شغوفا بالجغرافيا، فصمم على أن يضع فيها كتابا لايأخذه من أفواه الناس ولا ممّا قرأه، وإنما يأخذه من عينه ومشاهداته في العالم الإسلامي، فطاف في هذا العالم ثلاثين سنة ثمّ وضع كتابه[4] .

اتصف ابن حوقل بأنه يحمل بين جوانحه قلبا عامرا بحب الجغرافيا ، بعد أن قرأ — تقريبا — جميع كتبها التي وصفها السابقون عليه والمعاصرون له، حتى أنه أُولع بهذا العلم ، فألف كتابا سماه (صورة الأرض)، وعن سبب تأليفه فيقول : " . . . وكان مما حضّني على تأليفه، وحثّني على تصنيفه ، وجذبني إلى رسمه، أني لم أزل في حال الصبوة شغفا بقراءة كتب المسالك، متطلعا إلى كيفية البين بين الممالك في السير والحقائق . . . وترعرعت فقرأت الكتب الجليلة المعروفة . . . فلم أقرأ كتابا مقنعا، ومارأيت فيه رسما متبعا، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب . . . "[5] .

يقول عنه كراتشكوفسكي في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) : " . . . إنه يجب الإعتراف بأن ابن حوقل هو الخبير الأول من بين جغرافيي هذه المدرسة (الكلاسيكية) في شؤون المغرب "[6] .

---

[1] – علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 104 .

[2] – المرجع نفسه، ص 107 .

[3] – شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 12 .

[4] – فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 211 .

[5] – ابن حوقل (أبي القاسم ابن حوقل النصيبي)، **صورة الأرض**، د ط، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، 1992، ص 10 .

[6] – أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم، ج 01، د ط، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د ت، ص 204 .

لقد كان ابن حوقل معنيا بشؤون المال، وانعكس ذلك على أسلوبه في جمع المادة التي كان للنشاط الإقتصادي فيها حظاً وافراً، فكان حريصا على ذكر الحاصلات الزراعية والمنتجات الحرفية.

وإمتاز منهج ابن حوقل عن غيره من علماء الجغرافيا، بأنه اعتمد على معرفته الشخصية المكتسبة من أسفاره، ولقاءاته بكبار الفكر الجغرافي، لذا ظهر نتاجه في هذا المجال متكاملا، وخاصة مايخص بلاد الإسلام من حيث طبيعة الأرض والمحصولات الزراعية، إضافة إلى الحياة الإجتماعية في الحواضر والارياف[1] .

ج / المقدسي : هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، عرف باسم البناء، لأن جدّه إشتهر ببنائه ميناء عكة في عهد أحمد بن طولون، وقد ولد المقدسي في بيت المقدس سنة (335 هـ/946 م) [2]، حيث جاب وطاف المقدسي أقاليم العالم الإسلامي للتعرف على شعوبها وعاداتهم وتقاليدهم معرفة مبنية على الرؤيا والملاحظة الدقيقة، وبعد تلك الدراسة والمعرفة الغزيرة الفاحصة، وضع كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) في مدينة شيراز عام (375 هـ / 985 م)، وكان له من العمر أربعين[3] .

أما عن السبب في تأليف (كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، يقول المقدسي :

" . . . فإنه مازالت العلماء ترغب في تصنيف الكتب لئلا تدرس آثارهم، ولاتنقطع أخبارهم، فأحببت أن أتبع سننهم وأقفو سُننهم، و أقيم علما أُحيي به ذكرى، ونفعا للخلق أُرضي به ربّي، ووجدت العلماء قد سبقوا إلى العلوم فصنفوا على الإبتداء، ثم تبعتهم الأخلاف فشرحوا كلامهم واختصروه، فرأيت أن أقصد علما قد أغفلوه، وأنفرد بفنٍّ لم يذكروه، إلا على الإخلال وهو ذكر الأقاليم الإسلامية . . .)[4] .

نال المقدسي شهرة كبيرة من خلال كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، الذي يعتبر من أهم المصادر للباحثين في علم الجغرافيا بوجه عام، وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الأقاليم، لأن المقدسي قدم في مؤلفه معلومات فريدة لم يسبقه إليها باحث في هذا المجال، حيث أنه وضّح البلاد التي كتب عنها وزارها بالرسوم والخرائط، وفي ذلك يقول : " . . . وأفردنا أقاليم العجم عن

---

[1] – علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق ، ص 108 .

[2] – المرجع نفسه، ص 124 .

[3] – أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 129 .

[4] – المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ط 03، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 01 .

أقاليم العرب، ثم فصّلنا كور كل إقليم، ونصبنا أمصارها . . . ورسمنا حدودها وخططها، وحرّرنا طرقها المعروفة بالحُمرة، وجعلنا رمالها بالصُّفرة، وبحارها المالحة بالخُضرة، وأنهارها المعروفة بالزُّرقة، وجبالها المشهورة بالغبرة، ليقرب الوصف إلى الأفهام . . . "[1] .

وقد قسم المقدسي مصادره في دراسة أقاليم العالم الاسلامي إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول من خلال مشاهداته، أما الثاني فمن خلال ماسمعه من الثّقات، والقسم الثالث من خلال ماوجده في الكتب المصنفة [2]، ولقد اهتم المقدسي اهتماما شديدا بالحديث عن إختلاف أهل البلدان الإسلامية في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم، وفي ألوانهم ومذاهبهم، وفي مكاييلهم، وفي مفاخرهم وعيوبهم، ومايحمل من عندهم وإليهم[3] .

يقول كراتشكوفسكي في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي — الجزء الاول –) :

" إن شخصية المقدسي لتختتم بجدارة المدرسة الكلاسيكية للجغرافيا العربية وسلسلة الجغرافيين الكبار للقرن العاشر ميلادي . . . ولكن من غير الـــمُستطاع أن يغمطه إنسان نصيبه من الفهم والذكاء، ألا يعترف له بالأصالة والطرافة وقوة الملاحظة، لذا يجب الإتفاق مع كل من سبرنجر وكراموس في إعتباره جغرافياً عظيما، وواحدا من كبار الكُتاب العرب قاطبة "[4] .

وخلاصة القول أن أبو عبد الله المقدسي قد أجاد في دراسته المتكاملة للعالم الإسلامي، فقد تناول بكل دقة وإمعان وتحرَّ للحقيقة أربعة عشر إقليما، منها ستة عربية (مثل جزيرة العرب والشام ومصر والعراق والمغرب ...)، وثمانية أعجمية (مثل الديلم والرحاب ...)، وقد أسس دراسته على زياراته الشخصية[5] .

د / محمد الوراق : هو محمد بن يوسف الوراق، يكنّى بأبي عبد الله ويلقب بالقيرواني، وفي بعض الأحيان بالتاريخي، أصله من وادي الحجارة بالأندلس، ولد سنة (292 هـــ/904م) وتوفي بقرطبة سنة (363هـــ / 973 م)، نشأ وترعرع أبو عبد الله الورّاق في القيروان، فتلقى تعليمه هناك حيث درس على يد كبار المفكرين في علمي التاريخ والجغرافية فنبغ فيهما، لذا يعتبره

---

[1] – المقدسي ، المصدر السابق ، ص 09 .

[2] – محمد محمود محمدين ، **التراث الجغرافي الاسلامي** ، ط 03 ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، د ت ، ص 129 .

[3] – شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 15 .

[4] – اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ص 215 .

[5] – علي بن عبد الله الدفاع ، المرجع السابق ، ص 125 .

المؤرخون من الصف الأول لمؤرخي وجغرافيي بلاد المغرب والأندلس، ومن هنا جاء لقبه التاريخي لأنه انشغل في هذا الميدان كثيرا وحظي بمكانة مرموقة بين معاصريه[1] .

ذاع صيت أبي عبد الله الوراق بأنه الخبير المتمكن بأحوال القارة الافريقية وخاصة شمالها، فكتب كتابه (مسالك افريقية وممالكها)، وبقي هذا الكتاب المصدر المعتمد في كل من تاريخ وجغرافية القارة الافريقية مدة من الزمن، لما يحمله بين دفتيه من معلومات في غاية الأهمية، ويقول الدكتور زكي محمد حسن في كتابه (الرحالة المسلمون في العصر الوسطى)، أن كتاب أبو عبد الله الوراق يعتبر من أكبر المراجع التي اعتمدها البكري في كتابه (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) [2] .

كما نوّه حسين مؤنس في كتابه (الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس)، أن كلا من أحمد العذري الدلائي[3]، وأبو عبد الله البكري، قد إقتبسا كثيرا من معلومات الجغرافية من نتاج العالم الجغرافي الأندلسي الكبير أبي عبد الله الوراق، وأضاف حسين مؤنس أن أبا عبد الله الوراق أول من كتب في الغرب الاسلامي كتابا بعنوان (المسالك والممالك)[4] .

إعتكف أبو عبد الله على التأليف، فقد كتب كتابات رائعة عن أخبار كل من تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة[5]، وغيرها من المدن .

وقد استطاع الورّاق بطريقة فنية أن يبرز معالم هذه المدن التاريخية العريقة، والكثير من جغرافيي ومؤرخي العرب والمسلمين إستفادوا من المعلومات التي دوّنها، ونال أبو عبد الله شهرة عظيمة من خلال كتابه الضّخم الذي صنفه عن أخبار إفريقية، حيث حاول حصر المعلومات التاريخية بكل دقة واتقان[6] .

---

[1] – علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 105 .

[2] – زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 44 .

[3] – هو أحمد بن عمر بن أنس العذري بن الدّلائي، يكنّى بأبي العباس، ويُلقب بالدلائي نسبة لقرية دلاية إحدى قرى مدينة طرية، ولد سنة 393 هـ بألمرية وتوفي سنة 478 هـ بمدينة بلنسية ، تجول أحمد العذري في بلاد المشرق العربي و الاسلامي ، وأدى فريضة الحج ، ومكث في مكة المكرمة نحو تسعة أعوام، استطاع في هذه الفترة أن يلتقي بكبار المفكرين ليس فقط في العلوم الشرعية والعربية ولكن في علمي الجغرافيا والتاريخ . انظر كتاب (رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الاسلامية)، المرجع السابق، ص 135 .

[4] – علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 106 .

[5] – بكسر أوله وثانيه، وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة : مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان ، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب ، وهي في منقطع جبال درن، وهي في وسط رمال كرمال . . . يمر بها نهر كبير يخاص قد غرسو عليه بساتين ونخيلا . . . انظر : ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله)، **معجم البلدان**، مج 03، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ص 192 .

[6] – علي بن عبد الله الدفاع، المرجع السابق، ص 106 .

ومما يؤسف له أن معظم نتاج أبي عبد الله الوراق قد ضاع، لكن كتابه يعتبر من أهم المراجع التي إعتمدها أبوعبيد الله البكري في كتابه المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب[1] .

ثانيـــا : الأوضاع السياسية العامّة بالمغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي (04 هـــ / 10 م) :

1 – مفهوم المغرب الأوسط :

يُعتبر المغرب الأوسط منطقة جغرافية إختلف المؤرخون والرّحالة في ضبط حدودها الجغرافية، فمصطلح المغرب الأوسط لم يكن له وجود في الكتابة الجغرافية قبل عصر البكري، فأغلب ماكتبه الجغرافيون عن ممالك المغرب الإسلامي وأقاليمه، كان يستند في معظمه على معيار سياسي، تعبيرا عن الحالة السياسية التي كانت سائدة فيه، فابن حوقل (ت : 367 هـــ / 977 م) المعاصر للدولة الفاطمية يقسم المغرب إلى قسمين : شرقي وغربي فيقول : ". . . وأما المغرب فبعضه ممتد على بحر الـــمغرب في غربيه، ولهذا البـــحر جانبان شـــرقي وغربي وهـــما جميعا عامران "[2]، وأما الإصطخري فهو كذلك قد قسم المغرب إلى قسمين، شرقي وغربي حيث يقول : " . . . أما المغرب فهو نصفان يمتدّان على بحر الرّوم، نصف من شرقية ونصف من غربية، فأما الشرقي فهو برقة وإفريقية وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة وما في أضعاف هذه الأقاليم، وأما الغربي فهو الأندلس . . . "[3] .

وعليه فالبكري (ت : 487 هـــ / 1094 م) الجغرافي الأندلسي الشّهير، هو أول من إستعمل مصطلح المغرب الأوسط بعد توضيحه لحدود فضاء المغرب الواسع الممتد من برقة إلى طنجة، حيث يقول : " . . . وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط . . . "[4] .

أما الأدريسي (ت : 560 هـــ / 1164 م)، فيذكر أن المغرب الأوسط يقع في الجزء الأول من الإقليم الثالث ، فيقول : " ... وفيه من بلاد الغرب الأوسط، تنس وبرشك وجزائر بني مزغنا وتدلس وبجاية وجيجل ومليانة، والغدير ومقرة ونقاوس وطبنة والقسنطينة ... "[5]، أما

---

[1] – زكي محمد حسن، المرجع الساب ، ص 44 .

[2] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص 74 .

[3] – الاصطخري، المصدر السابق، ص 36 .

[4] – البكري (أبي عبيد الله) ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو ج}زء من كتاب المســالك والمــمالك** ، د ط، دار الكتاب الإســلامي، القاهرة، د ت، ص 76 .

[5] – الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني)، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، مج 01، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهر، 2002، ص 222 .

مدينة تلمسان فلم يدرجها ضمن مدن المغرب الأوسط، وقال عنها : " مدينة تلمسان قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للدّاخل والخارج منها "[1] .

ومايمكن أن نلاحظه هو وجود إختلاف واضح في تحديد نطاق المغرب الأوسط، فالبكري يجعل تلمسان قاعدة للمغرب الأوسط، أما الإدريسي فلم يدرج تلمسان ضمن مدن المغرب الأوسط.

أما صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، فيتفق مع البكري في أن تلمسان قاعدة المغرب الأوسط فيقول : " . . . وفيه مدن كثيرة ، وقاعدتها مدينة تلمسان، وحدُّ المغرب الأوسط من وادي مجمع، وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد التي ذكـــرنا في البلاد الساحـــلية، مثل مدينة وهران ومليلة وغيرها . . . "[2] .

في حين أن ياقوت الحموي (626 هـــ / 1228 م) قد قسم المنطقة الواقعة بعد مصر إلى إفريقية والمغرب، فإفريقية تمتد من برقة إلى بجاية أو مليانة، والمغرب عنده يمتد من مليانة إلى جبال السوس المحاذية للمحيط الأطلسي، والأندلس جزء منه[3] .

وكذلك قسّم ابن سعيد المغربي (685 هـــ / 1286 م) المغرب إلى عدة أجزاء، ويذكر أن تلمسان تقع في الجزء الأول من مراكش وفاس والأندلس، أما المغرب الأوسط فيقع حسبه في الجزء الثاني وقاعدته بجاية، وهو يمتد شرقا حتى مدينة قسنطينة، ومن مدن المغرب الأوسط في هذا الجزء يذكر ابن سعيد : مستغانم وتنس وجزائر بني مزغنة وتدلس وغيرها[4] .

فابن سعيد يذكر أن تلمسان خارج المغرب الأوسط، ويصف بجاية بقاعدة المغرب الأوسط وقسّم أبو الفداء صاحب تقويم البلدان (ت : 732 هـــ / 1331 م) وهو من مؤرخي وجغرافيي المشرق الإسلامي المغرب إلى ثلاث أقسام وهي : إفريقية، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، ويمتد المغرب الأوسط عنده من وهران إلى آخر مملكة بجاية حيث يقول : "...والقطعة الثانية

---

[1] – المصدر نفسه، ص 250 .

[2] – مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح : سعد زغلول عبد الحميد ، د ط ، دار الشروق الثقافية العامة – آفاق عربية –، العراق د ت، ص 176 .

[3] – انظر : الجزء الأول الصفحة 228، والجزء الخامس الصفحة 161، ياقوت الحموي (الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله) ، **معجم البلدان**، د ط، دار صادر، بيروت، 1977 .

[4] – ابن سعيد ، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق : إسماعيل العربي، ط 02، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص 140 – 142 .

تعرف بالمغرب الأوسط وهي من شرقي وهران عن تلمسان مسيرة يوم في شرقيها إلى حدود مملكة بجاية من الشرق "[1] .

في حين يشير ابن خلدون إلى حدود بلاد المغرب الأوسط الشرقية، فيذكر تارة أنها تبدأ من بونة باتجاه الجنوب إلى الأربص فالأوراس فتبسة، ويذكر تارة أخرى أن المغرب الأوسط يجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمدية ومايليها إلى بجاية حيث يقول : " . . . ويجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمرية ومايليها إلى بجاية . . . ويمر في وادي الشلف بني واطيل النّهر الأعظم منبعه من بلد راشد في بلاد الصحراء . . . " [2] ، وهو يعني بهذا أن نهر الشلف هو الحد الشّرقي لبلاد المغرب الأوسط، ويرى آخرون أن الحد الشرقي عبارة عن خط وهمي يبدأ من بجاية باتجاه الجنوب [3]، كما أن ابن خلدون قد ذكر أن قاعدة المغرب الأوسط هي تلمسان .

وأشار حسين مؤنس إلى أن المغرب الأوسط ينقسم تاريخيا إلى قسمين : " شرقي ويسمّى إقليم تاهرت ويتميز بالجبال والغابات، وغربي يسمّى تلمسان ويتميز بالمراعي والسّهول "[4] .

إن المصادر التاريخية التي تناولت المغرب الإسلامي، لم تعتنِ كثيرا بجغرافية البلاد ، فباستثناء ماذكره ابن خلدون لم ترد إلا إشارات قليلة عند بقية المؤرخين، وعليه لايمكن تحديد معالم وحدود المغرب الأوسط تحديدا دقيقا .

2 – الإطار السياسي للمغرب الأوسط خلال القرن الرّابع هجري / العاشر ميلادي (04 هـــ / 10 م) :

إن الدّول التي قامت خلال هذه الفترة الزمنية ببلاد المغرب الأوسط، هي كل من الدولة الفاطمية[5] والدّولة الزّيرية، وسنتطرق لكل منهما باختصار، وذلك بالتّعرف على الوضع السياسي

---

[1] – أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر)، **تقويم البلدان**، نشره رينودو البارون ديسلان ، د ط، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840، ص 122 .

[2] – عبد الرحمان ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون المسمّى : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح : خليل شحادة، ج 06، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000، ص 134 .

[3] – عبد الكريم يوسف جودت، **الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (09 – 10م)** ، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، د ت، ص 05 .

[4] – حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، د ط، مكتبة الأسرة – الأعمال الفكرية، د ت، ص 27 .

[5] – أنظر الملحق رقم : (01) .

لكل دولة، لما له من تأثير على الأوضاع الإقتصـــادية والإجتـــماعية بالمغرب الأوسط (وهـــو موضوع بحثنا) :

أ / الدولة الفاطمية : في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة تأسست الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى (172هـــ/788م)، ودولة الأغالبة في تونس (184هـــ/800م)، بالإضافة إلى الدولة الرستمية في تيهرت، وهي أول دولة إسلامية محلية تظهر في بلاد المغرب الأوسط أسسها الإمام عبد الرحمان بن رستم (160 هـــ / 776 م)، ثمّ خلفه إبنه الإمام عبد الوهاب الذي جعل الحكم وراثيا، فتعاقب الرستميون على الحكم حتى قدم الفاطميون بقيادة أبي عبد الله الشيعي، فوضعوا حدا لهذه الدّولة سنة (296 هـــ / 909 م)[1] .

وبسقوط دولة الرستميين إنفتح الباب على مصراعيه أمام الجيش الفاطمي، لبسط سيطرته ونفوذه على كامل تراب المغرب الأوسط، بل وراحوا يهدّدون بلاد المغرب الأقصى، وبذلك أصبحت بلاد المغرب الأوسط جزءا لايتجزأ من الدولة الفاطمية تخضع لقوانيتها ونظمها وتأتمر بأوامر الخليفة الفاطمي[2] .

وتنتسب هذه الدّولة إلى عبيد الله المهدي الشيعي مؤسس الخلافة العبيدية بالمغرب [3]، ففي الوقت الذي كان عبيد الله المهدي مضطهدا من طرف العباسيين بالمشرق، مختفيا عن أعين الناس، كان داعيته الأكبر أبو عبد الله الصّنعاني الشيعي بالمغرب يعمل على توطيد الدّعوة الشيعية وتمهيدها لسيده المهدي، فمكث في كتامة بجبل أوراس عشر سنين قام فيها بالدعوة، ولّما إطمأن إلى نجاحه في الدّعوة بعث إلى عبيد الله يستقدمه [4]، فانطلق المهدي عبر مصر إلى طرابلس ثم قسنطينة، وفي مدينة رقادة بايع الســـكان عبيد الله المـــهدي يوم الجـــمعة 21 ربيع الأول ســـنة (297 هـــ / 910 م)، ولقبوه بأمير المؤمنين[5] .

وذكر الدكتور صالح فركوس أن أبا عبد الله الشيعي الصنعاني بدأ في بث دعوته، وأسس في إيكجان قرب سطيف إلى ناحية قسنطينة مدينة سماها دار الهجرة، وسمّى أتباعه المؤمنين، ولحق به عبيد الله المهدي، لكن دبّ الخلاف بين المهدي وداعيته أبي عبد الله، حيث كثرت الوشايا

---

[1] – عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص 07 .

[2] – المرجع نفسه، ص 08 .

[3] – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 01، د ط، شركة دار الأمة، الجزائر، 2014، ص 283 .

[4] – المرجع نفسه، ص 284 .

[5] – عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص ص 34– 35.

بينهما، ونُمِي إلى المهدي أن داعيته أبو عبد الله وأخوه أبو العباس يدبّران مؤامرة لقتله، فبادر هو بقتلهما[1].

وقد حاول الفاطميون أن يحكموا بلاد المغرب الأوسط عن طريق تقسيمها الى أربع ولايات وهي : ولاية المسيلة (وتشمل على زناتة و الحضنة و سطيف)، و ولاية باغاية (وتشمل على نواحي قالمة عنابة وجيجل)، وولاية أشير (وتشمل على مواطن صنهاجة وما جاورها من زواوة وزناتة)، وولاية تيهرت (وتشمل على مواطن مغراوة ما بين مليـــانة ومازونة)[2].

وتداول على حكم الدولة الفاطمية مجموعة من الخلفاء أولهم أبو عبد الله الشيعي ثم خلفه أبو عبيد الله المهدي ثم أبو القاسم محمد القائم أمر الله سنة (322هـــ /934 م)، وجاء بعده اسماعيل المنصور سنة(334هـــ/946م)، وخلفه المعز لدين الله سنة (341هـــ/953م) ، واستمر في الحكم إلى سنة (361هـــ/972م)، سنة انتقاله إلى مصر[3].

وفي الحقيقة أن قادة الدولة الفاطمية لم يكن هدفهم البقاء في المغرب العربي، وإنما كان هدفهم الحقيقي هو التّمهيد لإقامة دولة في المشرق العربي و القضاء على الخلافة العباسية في نهاية الأمر، ولذلك بعث الفاطميون منذ البداية بالدُّعاة إلى مصر وذلك بقصد تمهيد الطريق لإحتلالها ونقل الخلافة إليها[4]، حيث استأنف المعز لدين الله الفاطمي محاولة فتح مصر فبعث جيشا كبيرا بقيادة جوهر الصقلي عام (385هـــ/969م)، وبمجرد أن استولى جوهر على مصر أخذ يُوجِّه الجيوش لفتح بلاد الشام و الحجاز فاستولى على دمشق وغزة، وتوطد النفوذ الفاطمي في تلك البلاد، وعندئذ بعث جوهر الصقلي إلى المعز لدين الله ليبشره بالنصر، فقرر المعز أن ينتقل الى مصر[5]، وقبل أن يرحل الفاطميون الى مصر كان المعز لدين الله قد عقد على بلاد المغرب لبلكين بن زيري الصنهاجي، وبذلك تأسست الدولة الزيرية سنة (361هـــ/972م)، وعلى رأسها بلكين بن زيري .

ب/ الدولة الزِّيرية (الصنهاجية) : يُعتبر الصَّنهاجيون من أكثر الناس تعلقا وارتباطا بالعُبيديين (الفاطميين) في منطقة شمال إفريقيا، إذ بفضلهم تمكن الفاطميون من القضاء على نفوذ

---

[1] – صالح فركوس، **تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ إلى غاية الإستقلال**، د ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2005، ص 88 .

[2] – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 287 .

[3] – عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص 08 .

[4] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 35 .

[5] – يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، د ط، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 126 .

حكام الأندلس في هذه المنطقة، ورغبة من الخليفة الفاطمي في مكافأة الصنهاجيين على هذه الخدمات قام المعز بالله عام (361 هـ / 972 م) بتعيين بلكين بن زيري زعيم قبيلة صنهاجة أميرا على المغرب، وأطلق عليهم إسم سيف الدّولة، وقد نصحه قبل أن يغادر المنطقة بأربع أمور قائلا له (إن نسيت مـــا أوصيتك به فلا تنســـى أربعة أشياء، إيـــاك أن ترفع الجباية عن أهـــل البادية، والسيف عن البربر، ولا تولِّ أحدًا من إخوتك و بني عمك، فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيرا)[1] .

وبعد وفاة بلكين بن زيري عام (373هـ/984م)، تولى ابنه المنصور بن بلكين الحكم وصارت الدولة الصنهاجية قوية جدا، خـــاصة بعـــد أن تمـــكن المنصـــور من التغلب على زعيم كتـــــــــــامة (أبو الفهمي الكتامي عام 380هـ/990م) والإستيلاء على سطيف وميلة [2] وعلى إثر ذلك بدأت الدولة الفاطمية تتوجس منهم وتحذر من ثوراتهم، فأخذت تسعى بمختلف الوسائل لإضعافهم وكسر شوكتهم، وأوعزت لبعض عملائها ممن كان لهم بعض النفوذ بإعلان التمرد عليها، فأخذت المتاعب تواجه الأمراء الصنهاجيين، حيث شعروا بنوايا الفاطميين السيئة نحوهم [3] .

لم يَطُل حكم المنصور بن بلكين كثيرا، إذ أن الموت عاجله وهو في سن الشباب بعد أن حكم اثني عشر سنة هجرية، وخلفه إبنه باديس (عام 386هـ/996م) الذي لقب بنصير الدولة وكان سنه 12 سنة، فرفض الزناتيون الطاعة للأمير الجديد و قامت حروب طويلة بينهم وبين الصنهاجيين أصحاب إفريقية والمغرب الأوسط[4].

ويبدو أن باديس قد قرر أن يخالف وصية المعز لدين الله لـــجده بلكين، والذي قال لـــه : (لا تولي أحدا من إخوتك وبني عمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك)، فقد شعر باديس بأن الفاطميين يحرضون كتامة ضد الصنهاجيين، أن الناس قد سئموا من الدعوة للفاطميين، كما أن زناتة الموالية للأمويين بالأندلس قد بدأت تتحدى الدّولة الصنهاجية، وعندما كثرت عليه الثورات قرّر باديس أن يستعين بعمه حمّاد للقضاء على دولة زناتة المعادية له، وفي مقابل ذلك

---

[1] – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص ص 322 – 323 .

[2] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 37 .

[3] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 128.

[4] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 160 .

يتولى المغرب الأوسط على أن تخضع المناطق التي يحتلها لسلطته، فوافق باديس وتمكن عمّه حماد من القضاء على دولة زناتة عام 395 هـ / 1005 م[1] .

وأما عن تواجد الزّيريين ببلاد المغرب الأوسط، فيعود ذلك إلى زحف بلكين بن زيري إلى هذه البلاد عام (363 هـ / 974 م)، وذلك بسبب عصيان أهل باغاية على عاملهم وإنتصارهم عليه ، فإنتشرت الفوضى والإضطرابات ، ويومئذ عمل بلكين على تغيير الحدود الجغرافية ، فقد كان المغرب الأوسط على عهد الفاطميين يضم أربعة ولايات وهي: أشير، وتيهرت، والمسيلة وباغاية، أما على عهد الدولة الزّيرية فقد ضُمّت الولايات الأربع إلى بعضها، فأُضيفت باغاية والجزء الشمالي من ولاية المسيلة إلى أشير، وجعل القسم الجنوبي من ولاية المسيلة إلى تيهرت فأصبح المغرب الأوسط يضم ولايتين هما : ولاية تيهرت، وأشير[2].

3 – بعض مدن المغرب الأوسط

إن المتتبع لتاريخ المغرب الأوسط يرى أن ظهور الدولة الفاطمية، ومن بعدها الزيرية كان له أثره الواضح في إنشاء العديد من المدن في تلك الفترة،كأشير والمسيلة والمدية وملیانة، وسنتطرق إلى هذه المدن بإيجاز :

أ / **المسيلة** : يقول عنها الحسن الوزان، أنها مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا داخل الأراضي على بعد مائة و أربعون ميلا من بجاية [3]، ويقول عنها البكري: "هي مدينة جليلة علي نهر يسمى نهر سهر أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله سنة ثلاثة عشر و ماية وكان المتولى لبناءها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي واستعمله القائم عليها " [4]، ويفهم من قول البكري أن أبو القاسم الفاطمي هو الذي أسس مدينة المسيلة سنة 313 الهجري، وأسند أمر بناءها إلى علي بن حمدون وجعل لها بابين وسمّا أحدهما باب (القاسمية) منسوبا إلى أبي القاسم، وسمّا الثاني باب (الأمر)[5] .

---

[1] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 37 .

[2] – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 322 .

[3] – الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة، محمد حاجي ومحمد الأخضر، ج02، ط 02، دارالغرب الإسلامي، بيروت، 1983 .

[4] – البكري المصدر السابق، ص 59 .

[5] – انظر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، رئيس المشروع : الذيب عيسى، الأعضاء الدكتور مزهوري مسعود والأستاذ بوطارن مبارك، ص 75 .

و لم يذكر المؤرخون والرحالة شيئا عن جغرافيتها العمرانية فلم يصفوا أبنيتها أوأحياءها ولا عدد سكانها .

ب / أشير: يكاد يُجمع المؤرخون والرّحالة، على أن مؤسسها هو زيري بن مناد واستدلوا على هذا من أبيات لعبد الملك بن عيشون ذكرها البكري إذ قال :

يا أيها السائل عن غربنا وعن محل الكفر أشير

عن دار فسق ظالم أهلها قد شُيدت للإفك والزور

أسسها الملعون زيرهـــا فلعـــنة الله على زيـــري[1]

وكان زيري هذا سيد قومه يسكن الجبل، وهذا ما منحه الشجاعة والقوة فجمع حوله جيشا من أبناء عشيرته فأغار بهم على من حوله من زناتة والبربر ورُزق الظفر بهم مرة بعد مرة[2] .

وقد شرع زيري في بناء المدينة (324 هـ / 935 م)، وقد أقام عليها حصنا مانعا، وبذلك أصبحت مدينة مشهورة يقصدها الناس طلبا للأمن و السلامة[3] .

و لم تمض سنوات قليلة حتى انتشرت فيها أجنة ومزارع سمحت لزيري بمد يد العون للخليفة الفاطمي بمائة حمل من القمح ومائتي فارس، ويبدو أن زيري قد استكثر من العبيد حتى أن مساعداته تلك اشتملت على مائة عبد وهذا ما يدل على اتساعها[4] .

ج / مليانة : وصفها الحسن الوزان بأنها مدينة كبيرة بناها الرومان، وأطلقوا عليها إسم ماكنانة، لكن العرب حرفوا هذا الإسم[5]، وعرّفها البكري بأنها : " . . . مدينة رومية فيها آثار . . جددها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلجين " [6]، ومما ساعد بلكين على إختطاطها توفر مواد البناء لوجود السهول والجبال ووقوعها على نهر يسقي أكثر مزارعها، واستفادت هذه المدينة من وجود مياه تنبعث من أعلى الجبال مما سهل عملية تسيير الماء إلى المنازل، ويضمن توفر الماء عند مداهمة العدو[7] .

---

[1] – البكري، المصدر السابق، 60 .

[2] – ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 01، ص 202 .

[3] – المصدر نفسه، ج 01، ص 203 .

[4] – الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: الدكتور إحسان عباس، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1984 .

[5] – الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص 34 .

[6] – البكري، المصدر السابق، ص 61 .

[7] – عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص 375 .

د / المدية : وصفها الحسن الوزان بأنها مدينة بناها الأفارقة في تخوم نوميديا على بعد ثمانين ميلاً من البحر المتوسط، وتقـــع في سهل خصيب جدا تحيط بها جـــداول مياه كثيرة وبســـاتين[1]، ويقول عنها البكري" هي بلد جليل قديم ومنها إلى خزرونة وهي مدينة على نهر كبير عليه الأرحا و البساتين ويُقال لها متيجة ولها مزارع ومسارح وهي أكثر تلك النواحي كتانا . . . "[2] .

وكان شأن هذه المدينة شأن سابقتها من المدن المذكورة آنفا، وقد برزت أهميتها حين أمر زيري ابنه بلكين أن يبني مدينة المدية، وهنا يذكر ابن خلدون أن بلكين اختطها على عهد والده وبأمر منه" . . . ثم اختـــط ابنه بلكين بأمـــره وعلى عهده مدينة جزائر بني مزغنة بساحل البحر، ومدينة ملیانة العدوة الشرقية من شلف، ومدينة لمدونة . . . "[3] .

كما يذكر ابن خلدون أن المدية هي بطن من بطون صنهاجة، وهذا يوحي أن زيري أدرك أهمية موقعها لوجودها في قبيلة صنهاجة، التي بدأت تبرز على مسرح الأحداث في بلاد المغرب الأوسط[4]، وعلى الرغم من الغاية التي أُنشئت من أجلها هذه المدن، إلاّ أنها تعتبر من المدن التي ظهرت في القرن الرابع الهجري وكان لها انعكاسات إقتصادية على المنطقة .

---

[1]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص 41 .

[2] – البكري، المصدر السابق، ص65 .

[3] – ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج06، ص 204 .

[4] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

المبحث الثاني : الأوضاع الإقتصادية

أولا : الزراعة

1 – النظام الزراعي

2 – طرق الزراعة

3 – إزدهار الزراعة

ثانيا : الصناعة

1 – إزدهار الصناعة

2 – أهم الصناعات

ثالثا : التجارة

1 – شبكة الطرق والمسالك

2 – الأسواق

3 – التجارة الخارجية للمغرب الأوسط

المبحث الثاني : الأوضاع الإقتصادية

أولا : الزراعـــة

شكلت الزّراعة في المغرب الأوسط النشاط الرئيسي للسكان، وهذا بفضل موقعها الإستراتيجي من جهة وكذا مساهمة العوامل الطبيعية من جهة أخرى كوفرة المياه وخصوبة التربة...إلخ، واشتهرت بلاد المغرب عامة وبلاد المغرب الأوسط بصفة خاصة بجودة الأراضي الزراعية، وكانت الأراضي التي في سهل الشلف من أجود الأراضي، وحتى في فصل الجفاف فكان جزء منها مستغلا وذلك لوفرة مياه نهر شلف، وكذلك أراضي سهل متيجة فكانت هي الأخرى مستغلة[1]، والتي بفضلها ازدهرت الزراعة و قوي إنتاجها وأصبحت إقليما فلاحيا هاما، ومصدرا من مصادر الثروة .

1 – النظام الزراعي :

كان نظام الزراعة في بلاد المغرب الأوسط، يعتمد على الأساليب الزراعية المعروفة في ذلك الوقت بل والموروثة، أي الإعتماد على نظام الزراعة التقليدي، وكان الفلاحون يقيمون في أراضيهم لخدمة الأرض وزراعتها، وكان البعض الآخر يقيم في القرية أو المدينة ويخرج للعمل في ضيعته، وكان بعض الفلاحين ينتقلون حسب ظروف الزراعة ومواسمها، ومن هؤلاء نذكر: بعض القبائل التي كانت تقوم بأعمال فلاحية إلى جانب ظعنها، ومنها تلك القبائل المنتشرة بين تاهرت وتلمسان حيث وصفها الإدريسي بقوله : " . . . قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى مكان غيره لكنهم متحضرون "[2]، ويذكر إبن خلدون بخصوص قبيلة مرنجيصة إذ يقول بشأنهم أنهم : " . . أهل شـــاه وبقر وخيام يظعنون في نواحيها وينتحلون الفـــلح في معاشهم . . . "[3] .

كما أشارت النوازل و الفتاوى الفقهية إلى بعض النظم الزراعية المتعلقة بالمغرب الأوسط والتي نذكر من بينها : نظام حراسة السواني، النواعير، والمزارع .[4]

---

[1] – مختار الحساني، **تاريخ الدولة الزيانية**، ج 02، ط 01، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص26 .

[2] – الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني)، **صفة المغرب و أرض السودان ومصر و الأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1863، ص 88 .

[3] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج7 ، ص 32 .

[4] – كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال فتاوى و نوازل المعيار المغرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996، ص ص 64 – 65 .

وعُرف نظام آخر للزراعة كان متعارفا، وهو نظام المُزارعة أوالمُشاركة: بمعنى أن يقوم شخص بتسليم الأرض والبذور والبقر لشخص آخر يلتزم بالعمل والحِراثة والزرع، على أن يكون له نصيب معين من المحصول .

كما وجد أيضا نظام المُغارسة: وهو يشبه نظام المُزارعة، غير أنه لم يكن يُطبق إلا على الأرض التي تُغرس فيها أشجار أي تزرع بالمُغراسة[1] .

وكان نظام الضمان أوالتعويض شائعا في القرى، حيث كان الأهالي يتركون ماشيتهم لترعى في المزارع، مما كان يُسبِّبُ أضرارا لأصحاب تلك المزارع، لذا كان لزامًا على حاكم الموضع أن يغرم الأهالي بدفع مبلغ من المال كتعويض لأصحاب المزارع عن الضرر الذي لحق بمحاصيلهم[2] .

وجَرَت العادة بين سكان وأهالي بلاد المغرب الأوسط، على إستعارة أو إستئجار الثّيران للحرث، والأبقار للدَّرس، وفي حالة الإستعارة أو الإستئجار، فيجب على الشخص الذي إستأجر أن يضمن الدّابة فإن إدّعى أنها سُرقت منه فإنه يُلزَم بإحضار بَيِّنةٍ من رجلين عدلين شاهدان بأنهما رأيا السارق يسير بها[3] .

أ / **نظام الـــرّي (السقاية)**: كانت مصادر السقاية في بلاد المغرب تعتمد على: الأمطار، العيون، الآبار، الأودية، والصهاريج، حيث يذكر البكـــري مدينة طبنة إذ يقـــول : ". . . وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها . . . " [4]، ومن جهة أخرى وجدت القناطير حيث يقول الإدريسي : " . . . وكان جرى الماء من هذه العين إلى هذه الدّواميس على عدّة قناطر لا يُحصى لها عدد، وجرى الماء بوزنة معتدلة، وهذه القناطر قسى مبنية بالصخر. . ."[5].

وكان نظام الرّي في بلاد المغرب الأوسط منظما تنظيما دقيقا حيث كان المتزارعون يتعاونون فيما بينهم على سقاية الأرض على نحو بالغ في الترتيب، فقد كان بتلمسان ماء عين مُشتركة بين أهلها يسقون منها بساتينهم ومزارعهم، فمنهم من كان يسقي أرضه نهارا، ومنهم من يسقيها ليلا .

---

[1] – الونشريسي (أبي العباس أحمد بن يحي ت 914م)، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب** ج08، نشر وزارة الأوقاف المغربية، 1981، ص152 ، 153 ، 156 .

[2] – المصدر نفسه، ج 07، ص ص227 – 228 .

[3] – المصدر نفسه، ج 09، ص ص 109– 110 .

[4] – البكري، المصدر السابق، ص 50 .

[5] – الإدريسي، **صفة المغرب**، ص 113 .

ويضيف الونشريسي أن تلمسان إشتهرت بكثرة قنواتها، والتي تستمـــد مياهها من الوادي وتتشعب تلك القنوات لتروي المزارع والبساتين خارج المدينة [1]، وجرى العرف في بلاد المغرب على أن الأهالي يخدمون الساقية، وذلك عند الإحتياج إليها بمعنى أنهم يتعاونون فيما بينهم على تحمل نفقات تلك الساقية وتطهير مجراها عند الحاجة إليها في الرّي، إلا أن نفقات الساقية كانت تقتصر على أصحاب المزارع فقط .

ويذكر الونشريسي أن أهل المغرب عرفوا نظام المناوبة في ري أراضيهم، مما كان يُجنِّبهم المُنازاعات التي يمكن أن تثار فيما بينهم[2]، وقد إنقسمت الأراضي الزراعية في بلاد المغرب الأوسط إلى قسمين:

- الأراضي السقوية: وهي الأراضـــي التي تُجلب إليها المـــياه للـــرّي سواءً ميـــاه الأنهار أوالعـــيون، أو الآبار، وذلك بإستخدام آلات رفع المياه مثل النّواعير أو السّواني أو الدّواليب .
- الأراضي البعلية: وهي الأرض التي تروى بماء الـــمطر[3] .

ويشير صاحب كتاب الإستبصار إلى الأرض السقوية ببجاية فيقول : " . . . ولها نهر كبير . . . وعليه كثير من جناتهم وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر. . . "[4] .

ب / مصادر السقاية : من بين أهم مصادر السقاية الأنهار التي كانت تَسقِي أراضي المغرب الأوسط، والتي أُعتبرت مصدراً هاما من مصادر السِّقاية ورَيِّ الأراضي الزراعية، ومن بين أهم هذه الأنهار:

- نهرتافنا: وصفه صاحب كتاب الإستبصاربأنه : " . . . نهـــر كبـــير تدخـــل فيه الســـفن . . . "[5] ، و يعرف البكري نهرتافنا بأنه : " . . . النهر الذي يصل إلى مدينة أرشقول وهناك يصب في البحر. . . " ، وتافنا تقع على ساحل تلمسان .
- نهر سطفسيف: وصفه البكري بأنه " . . . نهر يصب في بركة عظيمة . . . " وهذا النهر يقع في شمال تلمسان فوق جبل يسمى جبل البغل ينبعث من أسفله هذا النهر، بحيث يسمع خرير هذا النهر من مسافات بعيدة[6] .

---

[1] – الونشريسي المصدر السابق، ج 05، ص 111 .

[2] – المصدر نفسه، ص ص، 273-274- 275 .

[3] – المصدر نفسه، ج 06، ص 39 .

[4] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص130 .

[5] – المصدر نفسه، ص 134 .

[6] – البكري، المصدر السابق، ص77.

● وادي الصومام: ذكر الإدريسي بخصوص بجاية أنها " . . . على بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة وهو نهر عـــظيم يجاز عند فم البـــحر بالمـــراكب ... "[1]. وكانت مدينة مليانة لا تقل شأنا عن بجاية و تلمسان، إذ يذكر إبن حوقل مدينة مليانة بأنها " . . . ذات أرحية على نهر. . . "، وكانت مياهها تطرد في ريغة وكذلك مدينة أدنة بلد كثير الأنهار و العيون، ولا تقل تلمسان أهمية عن باقي مدن المغرب الأوسط، حيث ذكر إبن حوقل بشأنها أن زراعتها تسقى ويأتيها ذلك من جبلها المسمى بالصخرتين [2]، وفي نفس السياق أكد ذلك الإدريسي بقوله : " . . . لها نهر يسقى أكثر مزارعها . . . " يقصد بذلك مدينة مليانة ويضيف: " . . . لإقليمها حض من سقي نهر الشلف . . . " [3]، ويشير صاحب كتاب الإستبصار بشأن وهران حيث قال : " . . . لها ماء سائح وأنهار كثيرة أرحاءٌ وعيون . . . " [4]،كما يصف المقدسي مدينة تاهرت ذاكراً إياها " . . . بأن بها أحدقا لأنهار. . . "[5] .

ومن هنا نستنتج أن مصادر السقاية في بلاد المغرب الأوسط، متعددة وهذا ماذهب إليه الحسن الوزان واصفا مدينة تلمسان بما تملكه من مصادر المياه المتنوعة، من أنهار وأودية وآبار، إذ قال : " . . . وفي المدينة عدّة سقايات . . . "[6] .

وقدكان كبار الملاك يعتمدون على وكلاء لتسيير شؤون ضياعهم ومزارعهم، ويتلخص دور الوكلاء في: (تنظيم العمل اليومي والإشراف عليه، وكذا تهيئة البذوروالأدوات، وإستخدام عمال زراعيين إضافيين بالأجرة عند الضرورة، ويراقبون منشآت الري ويزودون المزارعين بالبذور و المساعدات المالية، بالإضافة إلى الإعتماد على العبيد مثل: القبائل المنتشرة في تيهرت إتخذت العبيد لخدمة الأرض[7] .

كما أن بلاد المغرب الأوسط قد عرفت الدَّهقان، حيث ذكر إبن حوقل في هذا الشأن مدينة وهران التي قال فيها : " . . . و في حاضرتها دهـــقنة و حذق . . . "[8]، والدهـــقان هـــم

---

[1] – الإدريسي، صفة المغرب، ص91.

[2] – إبن حوقل، المصدر السابق، ص 89 .

[3] – الإدريسي، صفة المغرب، ص 85 .

[4] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 134 .

[5] – المقدسي ، المصدر السابق، ص 228 .

[6] – الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج 02، المصدر السابق، ص 20 .

[7] – عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص ص 20 – 21 .

[8] – إبن حوقل، المصدر السابق، ص 84 .

(ملاك الضياع)، أو (أصحاب الأراضي)، حيث عرّف ياقوت الحموي الدّهقان في معجم البلدان إذ قال فيه: " الدهقان هو صاحب الضياع "[1] .

وقد حافظ الدّهاقون على إقطاعياتهم وأراضيهم الشاسعة في بلاد المغرب الأوسط، حتى لفتت نظر الرحالة والجغرافيين ومنهم إبن حوقل في مدينة وهران .

2 – طرق الزراعة :

كانت المناوبة في الزراعة هي النمط السائد في زراعة الأرض في بلاد المغرب الأوسط حيث يزرع نصف الأرض عاما ويترك النصف الآخر بوراً ويزرع في العام القادم، واقتصرت على أصحاب الملكيات الكبيرة، وكان الفلاحون يستعينون بأدوات فلاحية من أجل إنجاز أعمالهم الفلاحية، ومن بين الأدوات نذكر: المحراث الخشبي البسيط الذي يجره زوج من البـــقر في الغـــالب، الرُّفش، المجرفة . . .إلخ من الأدوات التقليدية المعروفة في ذلك الوقت، وأما إذا كانت الأرض واسعة فيستعملون المجـــاريف الكبيرة، وكذلك أُستعمل المنجل للحـــصاد والمذراة للتذرية وكان الفلاحون يعملون على تسوية الأرض بنقل التـــربة من المكان المرتفع إلى المـــكان المنخـــفض،كما كانوا يولون التسميد أهمية كبيرة حيث صنفوا الأسمدة وعرفوا خواص كل صنف والمزوعات التي تلائمها، وميَّزوا التربة وأنواها، وخواص كل نوع وملائمته لمزروعات معينة وعرفوا أيضا طرق الزراعة المختلفة بالبذور، أو بالفسائل، أو الشتائل، أوالترقيد وغيرها، وعليه فقد كانت زراعتهم منظمة تنظيما جيّدا .

وكان الفلاحون في المغرب الأوسط على دراية بتقليم الأشجار خاصة أشجار الكروم [2] غير أن الفلاحين لم تكن لهم وسيلة لمكافحة الجراد الذي يصيب المحاصيل الزراعية، حيث يذكر إبن أبي الزرع أن الجراد عمَّ في بلاد المغرب كلها وذلك في سنة 361هـــ، إذ يقول في هذا الشأن". . . كان الجراد في المغرب . . . " [3]، لذلك سعى الفلاحون لإيجاد وسيلة لحماية محاصيلهم الزراعية من خطر الحيوانات، وذلك بإحاطة ضيعاتهم وحقولهم الزراعية بأعواد أثبتوها في حفر ووصلوا ما بنيها بالحبال، في حين لجأ البعض الآخر إلى إحاطتها بحفر خندق .

---

[1] – ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 02، ص 492 .

[2] – عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص ص 22 – 24 .

[3] – إبن أبي الزرع (أبي الحسن علي بن عبد الله)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، د ط، صور للطباعة والوراقة، الرباط، ص 101 .

وقد قام الفلاحون بالزِّراعة الشتوية والصيفية، حيث يشير اليعقوبي إلى أن الفلاحين كانوا يزرعون السِّمسِمَ على وادي الشلف[1]، وهو محصول صيفي .

كما لجأ الفلاحون الذين لا يملكون أرضا يزرعونها إلى الملاك وأصحاب الضيعات، وذلك من أجل القيام بالمزارعة، وهي تعني أن يتول المزارع الحرث والبذر وجني المحصول مقابل حصة من المحصول يتم الإتفاق عليها، ويَعتمد ذلك على نوع التربة والزراعة وطريقة الري ومدى توفر الأيدي العاملة، ونسبة مشاركته في لوازم الفلاحة، وقد يكون على المناصفة أو الثلث أو الخمس أوغير ذلك، أي على حسب الإتفاق المبرم بينهما [2] .

3 – إزدهار الزراعة :

كانت الحياة الزراعية في المغرب الأوسط في قمة الرُّقي والإزدهار، خلال القرن الرابع هجري وهذا لما شكلته جودة الأراضي وخصوبتها، وتعدد طرق ونُظم إستغلالها وكذا إهتمام وإعتناء السكان بالنشاط الزراعي، كل هذه العوامل أدت إلى إزدهار الزراعة وإرتفاع كمية الإنتاج الزراعي، ويتجسد ذلك من خلال إنتشار البساتين والمزارع من جهة، وكذلك من خلال إشارات الرحالة المسلمين من جهة أخرى، حيث يشير إبن أبي الزرع أنه في سنة 380هـ" كان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثرته وكان الحراثون يتركونه. . . و لايحصدونه " [3]. وهذا يؤكد على وفرة الإنتاج الزراعي في بلاد المغرب الأوسط .

وقد ساعدت طبيعة بلاد المغرب الأوسط نفسها على هذا الإزدهار، فهي معروفة بخصوبة تربتها وتنوعها بحيث تناسب مختلف أنواع المزروعات، بالإضافة إلى وقوعها في المنطقة المعتدلة وأمطارها هي أمطار البحر الأبيض المتوسط، ومن العوامل المساعدة أيضاً التطور الحاصل في المجال الفلاحي، فقد كان لزاماً على الفلاحين أن يحدثوا إبتكارت ووسائل وتدابير جديدة لمواجهة الطلب المتزايد على الإنتاج الزراعي، فعملوا دراسة للتربة واستعملوا أدوات جديدة لتسويتها وعملوا على زيادة خصوبتها، وكان الفلاحون يزرعون كل شجرة مع صنفها، ويراعون أن يكون الشجر الكبير مع الكبير والصغير مع الصغير، وبذلك يكون صفوفا منتظمة[4] .

---

[1]– اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إبن واضح) ،**كتاب البلدان** ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن المحروسة 1890 ، ص 149 .

[2] – عبد الكريم يوسف جودت ، الرجع السابق ، ص ص 23 – 24 .

[3] – ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص63 .

[4] – عبد الكريم يوسف جودت، الرجع السابق، ص26 .

أ / **الإنتاج الزراعي** : إشتهرت بلاد المغرب الأوسط بإنتاجاتها الزراعية المتنوعة والوفيرة حيث أشار إبن حوقل إلى ذلك بقوله : " . . . إنما حاذى أرض إفريقية إلى آخر أعمال طنجة فبلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق و المزارع و الضياع . . . " [1]، وكانت تلمسان ذات شهرة زراعية كبيرة حيث وصفها إبن حوقل" . . . غلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة . . . " [2]، ووصفها الإدريسي قائلا : " وما جاورها من المزارع كلها سقيٌ وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة " [3]، وأكد ذلك صاحب كتاب الإستبصار إذ قال في شأنها : " . . . كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات و النِّعم . . . "[4] .

و لم تَقِل وهران شُهرة زراعية عن تلمسان حيث يصفها إبن حوقل : " أنها على واد عليه بساتين أجنة كثيرة فيها من جميع الفواكه . . . " [5] ، وأشار البكري بشأن مدينة وهران واصفاً إياها ". . . ذات مياه سائحة وأرحاء ماء و بساتين . . . "[6]، ولا ننسى مدينة تنس وما تحويه من فواكه وبساتين حيث وصفها الإدريسي بأن بها " من فواكه كل طريف . . . وخصب ولها إقليم و أعمال و مزارع"[7] .

واشتهرت مدينة تاهرت بزروعها وبساتينها المختلفة حيث قال فيها القلقشندي: " . . . وبأرضها مزارع وضياع جمة . . . " [8]، ويذكر ما بها من قمح وشعير فيقول: ". . .أما زروعها أنها تزرع على الأمطار وأن بها من الحبوب القمح والشعير " [9]، ويصف إبن حوقل برشك بأن بها " فواكه حسنة غزيرة، ولهم من الزرع والحنطة والشعير ما يزيد عن حاجتهم وكذلك كانت مدينة شرشال "[10]، ويصف الإدريسي مدينة مليانة بكثرة مزارعها إذ قال بشأنها : ". . . حسنة البقعة كريمة المزارع، ولها نهر يسقي أكثر مزارعها . . . "[11]، ويشير إبن حوقل إلى ما

---

[1] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص 83 .

[2] – المصدر نفسه، ص 88 .

[3] – الإدريسي، صفة المغرب، ص 80 .

[4] – مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 134 .

[5] – إبن حوقل، المصدر نفسه، ص 79 .

[6] – البكري، المصدر السابق، ص 70 .

[7] – الإدريسي، المصدر نفسه، ص 83 .

[8] – القلقشندي (الشيخ أبي العباس أحمد) ، **كتاب صبح الأعشي**، ج05 ، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية القاهرة، 1915، ص 111.

[9] – المصدر نفسه، ص 112 .

[10] – إبن حوقل، المصدر السابق، ص 78 .

[11] – الإدريسي، صفة المغرب، ص ص 84 – 85 .

في بـــونة فيقول : " . . . خصب ورخص وفواكه وبساتين قريبة، وأكثر فواكهها من باديتها، والقـــمح بها والشعبر في أكثر أوقـــاتها كما لاقدر له . . ."[1] .

ومما تجدر ملاحظته مما ذكر آنفا هو إشارة إلى وفرة الخيرات الزراعية في بلاد المغرب الأوسط، وهذه المدن التي ذكرناها هي صورة عن غيرها من القرى والمدن الأخرى التي تحتوي على مختلف المزارع والبساتين .

ومنه نستنتج أن الرّحالة أجمعوا على أن بلاد المغرب كانت كثيرة المزارع والبساتين، وتجلّى ذلك من خلال إشارات الرّحالة خاصة في مدن المغرب الأوسط التي توفرت على أنتاج زراعي وفير .

ب / المحاصيل الزراعية :

- **الحبوب:** تتم زراعة الحبوب في الأراضي الخصبة، حيث ذكر الإدريسي مدينة مسيلة بقوله : " . . . وجنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع قطن ولحم وشعير. . . "[2] ، ويذكر أن مدينة تلمسان : " وبها الحنطة ممكنة جدًّا وسائر الحبوب موجودة "[3] ، ويشير صاحـــب كتاب (صبح الأعشى) إلى وفرة المحاصيل الزراعية في بلاد المغرب الأوسط ، والتي يذكر منـــها : الحمص ، الفول ، العدس ، الجلبانة ، الذرة ، البِسِلاَّ واشتهرت بها مدينة تاهرت ، أما الأرز فمجلوب إليها[4] .

- **الخضر والفواكه:** تتركز زراعة الخضر والفواكه في الأراضي الخصبة المجاورة للأودية والعيون ، في شكل مزارع و بساتين وجنان، حيث تشير كتب الجغرافيا إلى أنواع عدّة من الخضر والفواكه، حيث يشير الإدريسي عند وصفه تلمسان والطـــرق التي تربطها بمختلف المدن فيقول : " . . . وبها من الفواكه كل طريفة، ومن السفرجل الطيب المعنَّق ما يفوق الوصف في كبره وحسنه . . . "[5].

أمّا الفواكه فهي على أنواع و أذواق مختلفة ، وعن هذه المحاصيل يصف حسن الوزّان تلمسان بقوله: " وفي المدينة عدّة سقايات ...حيث الكروم المغروسة الممتازة تنتج أعنابًا من كلّ

---

[1]- إبن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[2] - الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 254 .

[3]- المصدر نفسه، ص 252 .

[4]- القلقشندي، المصدر السابق، ص112.

[5]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 248 .

لون، طيّبة المذاق جدًّا، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلاً في جهة أخرى، والتّين الشّديد الحلاّوة، وهو أسود غليظ طويل جدًّا، يجفّف ليؤكل في الشّتاء، والخوخ والجوز واللّوز والبطّيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة" [1] .

ويشير يحي أبو زكريا إلى بعض المنتوجات الزّراعية التي تثمرها أرض تلمسان بقوله : " . . . ويوجد بخارجها . . . الحدائق الغلّب بما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين من فواكه الرمّان والزّيتون ، والتّين . . . وتنصبّ إليها من أعلى جبالها أنهار من ماء غير آسن . . . ويسقي بساتينها خارجها، ومغارس الشّجر، ومنابت الحب . . . "[2]، وأمّا تيهرت وتنّس وشرشال و مازونة و مليانة ووهران وغيرها من أراضي المغرب الأوسط، فكانت لاتختلف عن تلمسان .

ويصف القلقشندي فواكه تيهرت بقوله : " . . . وفيها من الفواكه العنب والتين، كل منهما على أشكال مختلفة، والرمان: الحلو والمز والحامض، والسفرجل والتفاح والكمثري والعناب والزعرور والخوخ والمشمش على أنواع، والتوت الأبيض والفِرصاد: وهو التوت الأسود . . . "[3] .

واشتهرت بلاد المغرب الأوسط بالسفرجل حيث ذكر إبن حوقل مدينة تنس قائلا : " لها من السفرجل المعنق ما لا أزال أحكيه لنعومته وحلاوته وطيب رائحته "[4]، أمّا النّاحية الممتدّة مابين مدينة تنّس والمسيلة فكانت هي الأخرى تنتج ما لذّ وطاب من الخضر والفواكه والتّوابل " ومن مدينة تنّس إلى المسيلة قرى كثيرة عبر مراحل . . . لها كروم ذوات سوان، يزرعون عليها البصل والشّهدانج والحنّاء والكمّون، ولها كروم كثيرة ومعظمها على نهر الشّلف، ومن التنّس إلى الشلّف مرحلتان "[5]، واشتهرت نقاوس بفاكهة اللوز والكروم[6].

ولا ننسى المشمش في مدينة مستغانم، حيث وصفه القلقشندي بقوله : ". . . أن مشمشها يقارب في الحسن مشمش دمشق "[7] .

---

[1]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص20 .

[2]- يحي إبي زكريا (إبن أبي بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون)، **كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ، مج 01، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1903، ص 10 .

[3]- القلقشندي، المصدر السابق، ص 112 .

[4] - إبن حوقل ، المصدر السابق ، 78 .

[5]- الإدريسي، نزهة المشتاق، مج 01، ص ص 252- 253 .

[6]- إبن حوقل، المصدر السابق، ص 91 .

[7]- القلقشندي، المصدر السابق، ج 05، ص 150 .

ومايمكن أن نستنتجه هو أن بـــلاد المغـــرب قد شهدت إزدهارا كبـــيرا في المجال الفلاحي، سواء في ميدان الزراعة على إختلاف أنواعـــها، أو في ميدان الرعـــي وتربية المـــواشي[1]، وكثيرة هي المصادر الجغرافية العربية التي نوهت بكثرة الثروة الحيوانية لبلاد المغرب الأوسط من الأنعام والدّواب والبقر، حيث أشاد الجغرافي (ابن حوقل) إلى مناطق عديدة من البلاد كالمسيلة، طبنة، تنس، وهران، بونة، وبالمثل أشاد صاحب الإستبصار عند تعـــريفه لبلاد المـــغرب الأوســـط، حيث وصفها أنها كثيرة الغنم والماشية طيبة الرعي، وفي ذلك دلالة على وفرة الأنعام في هذه البلاد[2]

ثانيـــا : الصناعة

مثّلت بعض الحرف والصّنائع في المجتمع المغاربي القاعدة الإنتاجية للمجتمع بما كان يقدّمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية، وذلك بإستغلال وتحويل الموادّ الأوّلية فلاحيّة كانت أو معدنيّة إلى بضائع استهلاكيّة قابلة للتّسويق .

1 – إزدهار الصناعة :

خضعت الصناعة في بلاد المغرب إلى عوامل أثرت فيها، وذلك ما أدى إلى قيام صناعة واسعة أدت إلى إزدهار الصناعة فيها، ومن بين هذه العوامل نذكر: توفر مواد الخام مثل بعض المعادن التي سمحت بقيام صناعة معدنية وغيرها من الصناعات مثل: الصناعات الطِّبية التي كانت في بجاية حيث ذكر الإدريسي واصفاً بجاية بقوله : " . . . في كنفها جبل من النبات المنتفع به في صناعة الطب . . . "[3]، وقد قامت مراكز صناعية هامة لفتت نظر الرحالة حيث يقول الإدريسي بشأن بجاية : " . . . وبها من الصّناعات والصُّناع ما ليس بكثير من البلاد . . . "[4]، وعُرف عن بجاية صناعة السفن والمركب، حيث قال عنها : " . . . وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل و المراكب . . . لأن الخشب في أوديتها وجبالها "[5]، ولاننسى وهران وما بها من صنائع كثيرة وكذلك جزائر بني مزغنة وطبنة التي بها الكثير من الصناعات،كل هذه العوامل ساعدت على النهوض بالصناعة في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري .

---

[1] – أنظر الملحق رقم : (02) .

[2] – فاطمة بلهواري، النشاط الرعوي في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي، دورية كان التاريخية : دوية إلكترونية – محكمة– ربع سنوية متخصصة في البحوث والدراسات التاريخية، العدد الثامن، يونيو2010، ص 29 .

[3] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 90 .

[4] – نفسه .

[5] – نفسه .

2 – أهم الصناعات :

أ / **الصّناعات النّسيجيّة:** تعتبر صناعة النّسيج من أهم الصناعات الرئيسية في بلاد المغرب الأوسط، وسبب ذلك يعود إلى حاجة الناس إليها على إختلاف طبقاتهم وفئاتهم الإجتماعية .

و تعتمد هذه الصّناعة على موارد مختلفة كالصّوف، والقطن، والكتّان، والحرير ، والجلود المدبوغة على اعتبارها مادّة أوّليّة متوفّرة بشكل كبير في أراضي المغرب الأوسط، وتشمل بوجه خاصٍّ: حياكة الملابس، والبسط، والبرانس والأكسية وصناعة الخيم والأحذية والسّروج والعمائم والأحزمة وغيرها، وقد أثنى يحي ابو زكريا على هذه الصّناعة بتلمسان بقوله : " . . . غالب تكسيبهم الفلاحة وحوك الصّوف، يتغايون في عمل أثوابه الرّقاق، فتلقى الكساء، والبرنوس عندهم من ثماني أواقي، والأحرام من خمس، وبذلك عرفوا في القديم والحادث ، ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا . . . " [1]، ونوّه الزّهري بمكانة تلمسان في صناعة المنسوجات الصّوفيّة بقوله : " وهي دار مملكة يعمل بها من الصوف كل شيءٍ بديع، من المُحرَّرات و الأبدان وأحاريم الصوف والسّفاسير والحنابل المُكَلكَلةِ وغير ذلك، وهذا من بديع ماخصّ به أهلها من جميل صنعهم ، ومنها يجلب لقيط الصّوف والأسلة لسروج الخيل إلى بلاد المغرب و بلاد الأندلس "[2] وتشير كتب التّراجم إلى وجود ورشات حرفيّة يديرها أرباب الحـــرف بمساعدة مجموعة من الصّبيان، يخضع من خلالها الصّبي لفترة معيّنة حتّ يتعلّم الصّنعة على أن تقدّم له أجرة لا تزيد عن نصف دينار كلّ شهر[3].

وقد اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بصناعة البســـط حيث أشار الحمـــوي ذاكراً أن تبسة " . . . يُعمل بها بسط جليلة محكمة النسج، يقيم البساط منها مدة طويلة . . . " [4]، وذكر القلقشندي بخصوص جبل الونشريس " . . . أن فيه تُعمل البسط الفائقة . . . "[5].

ومايمكن أن نستنتجه من خلال ماوصفه لنا الرحّالة والمؤرخون، هو مدى الرُّقي والإزدهار الذي بلغته بلاد المغرب الأوسط، خاصة فيما يتعلق بالصناعات النّسيجية .

---

[1]– يحي أبي زكريا، المصدر السابق، ص 22 .

[2]– الزهري (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق : محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ت، ص ص 113 – 114 .

[3]- المليتي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي التلمساني)، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**، راجعه محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية ، الجزائر، 1908، ص ص 38– 39 .

[4]– ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 02، ص 13 .

[5]– القلقشندي، المصدر السابق، ج 05، ص 174 .

ب / الصّناعة المعدنيّة :

● **الصناعات الحديدية :** هي من بين الصّناعات التي أخذت إهتمامًا خاصًّا من قبل السكان و السّلطة، وذلك لإرتباطها بالحياة المدنيّة من ج ـــهة والحياة العس ـــكريّة من جه ـــة أخرى، ويعود السّبب في تطورها إلى وفرة المواد الأوليّة في محيط الدّولة وقربها من مناجم الذّهب والزّنك و الحديد بشكل خاص[1] ، وهذا ما أكده إبن حوقل بخصوص وفرة المعادن حيث يشير إلى مدينة بونة بقوله : ". . . وبها معادن حديد كثيرة، ويُحمل منه إلى الأقطار الغزير الكثير. . . "[2].

وأكد المقدسي قول إبن حوقل حيث أشار أن " . . . بها معدن حديد . . . "[3].

كما شملت هذه الصّناعة الأسلحة التّقليديّة كالسّيوف والرّماح والمجانيق والآلات المختلفة التي تُستخدم في عمليات الحصار، كما استخدمت في مواضع مختلفة، كم قابض للأبواب ومطارق لها، إلى جانب بعض الأدوات البسيطة كالفؤوس والمحاريث والشّبابيك وغيرها[4] .

● **الصناعات النحاسية :** لقـــد كانت صـــناعة النحاس رائجة في بلاد المـــغرب الأوسط، وتجلى ذلك من خلال قول البكري واصفاً مواقع جبال كتامة بقوله : " . . . وعلى هذه المواضع كلها من جبال كتامة معادن نحاس ، ومنها يُحمل إلى إفريقية وغيرها . . . "[5] واستعملت هذه المادة في صناعة الكثير من الأدوات .

وقد عرف النشاط الصناعي في بلاد المغرب الأوسط إزدهارا كبيرا، نتيجة الهجرة الأندلسية إلى مدن المغرب الأوسط، لكن الخبرة لم تعد تقتصر على الأندلسيين بل بَرَزَ عدد من الصُّناع في مختلف الصناعات من سكان المغرب الأوسط[6] .

ثالثـــــا : التجارة

خَضَعِت التِّجارة في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري، لعدة عوامل طبيعية وأُخرى بشرية، حيث كان لموقع بلاد المغرب الجغرافي، والذي يمتد على سواحل بحر الرّوم (البحر الأبيض المتوسط)، وبحر المحيط (المحيط الأطلسي) من جهة، واتصاله بالصحراء الكبرى من جهة

---

[1]- البكري، المصدر السابق، ص 70 .

[2]- إبن حوقل، المصدر السابق، ص77 .

[3]- المقدسي، المصدر السابق، ص 226 .

[4]- مختار الحساني، المرجع السابق، ج 02، ص 98 .

[5]- البكري، المصدر السابق، ص 83 .

[6]- مختار الحساني، المرجع نفسه، ج 02، ص 82 .

أخرى، دورا كبيرا في توفير اتصال تجاري بحري ، وبرّي واسع، مع الكثير من الأقطار المجاورة والبعيدة منه .

كما لا يخفَى أن بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي، خضعت إلى حكم الفاطميين وخلفائهم من بني زيري بعد خروجهم إلى مصر، ضِف إلى ذلك تأرجح بعض المناطق بين النفوذ الفاطمي حينا ، والنُّفوذ الأموي في بلاد الأندلس في بعض الأحيان الأخرى .

كانت ظاهرة تأسيس مدن جديدة في بلاد المغرب، تقوم في الغالب على حساب مدن أخرى فقدت أهميتها الاقتصادية لأسباب سياسية، وبالتالي انعكس ذلك على نشاط ـــها الإقتصادي، فمثلاً بُنيت في المغرب الأوسط مدينة المسيلة في عام (313هـــ/925م)، و أشير في عام (334هـــ / 945م) وقد كانت لِكلا المدينتين وخاصة المسيلة دور مهم في النشاط التجاري .

1 – شبكة الطرق والمسالك :

لقد خفّفت شبكة الطرق والمسالك من صعوبة المُواصلات بين المناطق الدّاخ ـــلية والسّاحلية، هذا وعَمِلت على الرَّبط بين المراكز الصحراوية والمدن الرئيسية ، وبذلك أصبحت المنطقة الصحراوية منطقة ربط بين أقاليم المغرب المختلفة وليست مجالا معزولا .

وقد ب دأت شبكة الطرق والمسالك على مرّ العصور من مركز وانتهت بمركز آخر، وكان نشاط حركتها هو الذي يحدد أهمية تلك المراكز ، وهنا يأتي عامل الموقع ودوره في نمو المركز وتحويله إلى مدينة بأبعادها الحضارية على طول الطرق الرابطة بين ج ـــميع الجه ـــات المحلية والعالمية[1]، وبالتالي نقف أمام مسألة البنية التاريخية ودورها في تنظيم وتطوير هذه الشب ـــكة من جهة، وتطرح أيضا في الجوانب السلبية الأخرى من حيث الإهمال والتخريب والعرقلة بإفساد السابلة[2]، واتخذت مقاييس لقياس المسافات القصيرة والطويلة، وهي لا تختلف عن مثيلتها في بلاد المشرق، مثل المرحلة[3]، والذراع[4]، والفرسخ[5]، والميل[6]، واليوم[7] .

---

[1] – أنظر الملحق رقم : (03) .

[2]- هاشم العلوي، **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري / منتصف القرن العاشر الميلادي**، ج 01، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، 1995، ص 360 .

2- L , Golvin , **Le Maghrib central à l'époque des Zirides**, Paris, Ed. Arts et métiersgraphiques, 1954, p. 84 .

[4]- المقدسي، المصدر السابق، ص 65 .

[5]- أحصى "المقدسي" قياسه باثني عشر ألف ذراع، المصدر نفسه، ص 65 .

[6]– قدر بثلث الفرسخ، وهو ما يعادل 1,440 كلم، ينظر عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص 74 .

[7]– عبد الكريم يوسف جودت، المرجع نفسه، ص 75 .

إن الطرق تمثل شريان الحياة بالنسبة لمجتمع ات في أي فترة من الفترات، وهي من المظاهر المساعدة على تطور الحياة الإقتصادية ورقيها في أي دولة من الدولة، و لقد أنبنى تنظيم الطرق على" الماء"، فمثلت النقطة المائية نقطة للالتقاء، وبالتالي كانت قلة الماء أو وفرته من خواص تنظيم هذه الطرق وحركتها وتوجيهاتها[1] .

ولقد اخترقت بلاد المغرب شبكة من الطرق ربطته بأنحائه المتباعدة، وبالعالم الخارجي، فهنالك طرق اتصلت ببلاد المشرق وبلاد السودان ، وطرق ربطته ببلاد الأندلس وبلاد الروم عن طريق الموانئ ، وهكذا كانت بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري على صلة وتفاعل مع جيرانها في تفعيل حركة النشاط التجاري، وعليه سنقتصر على الطرق التي ساهمت في تفعيل التجارة الداخلية، وهنا يمكن التَّمييز بين نوعين من الطرق والمسالك، كان لهما الدّور الفعال في إزدهار التجارة ورقيها وهما :

أ / المسالك البرية [2]: تناول الجغرافيون المسلمون الطرق البرية الرئيسية لبلاد المغرب، وبيَّنُوا مراحلها ومسافاتها وما إكتنفها من صعاب، وما توفرت عليه من تسهيلات في تفعيل الحركة التجارية .

ومن المحطات التجارية الواقعة على طريق الجادة مدينة قابس السّاحلية، ومنها يسير الطريق إلى مدينة صفاقس، ومنها إلى المهدية ثم مدينة سوسة البحرية، ليصل الطريق إلى مدينة تونس، ومن هذه الأخيرة إلى طبرقة مارًّا على مدينة باجة ثم يجتاز مرسى الخرز ليصل في النِّهاية إلى جزائر بني مزغنة وفي آخر مدينة في إفريقية[3].

ومن جزائر بني مزغنة يواصل الطريق الساحلي مسيره باتجاه المدن الساحلية في إقليمي المغرب الأوسط والأقصى، فيجتاز تنس ووهران و واسلن ثم أرشكول ونكور [4]، وكانت هذه المدن محطات نشطة للتجارة البحرية، وارتبطت فعالياتها التجارية مع مدن الداخل كما سنرى فيما بعد، وكانت آخر محطة تجارية في الطريق الساحلي سبتة و طنجة ، ومنها ينعطف الطريق إلى مناطق المغرب الأقصى الساحلية والداخلية[5] .

---

[1]- هاشم العلوي، المرجع السابق، ج 01، ص 360 .

[2] - أنظر الملحق رقم : (04) .

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 72، 73، 75، 77 .

[4] - المصدر نفسه، ص ص 77 - 79.

[5]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 107 .

أما الطريق الداخلي البري فيجتاز مناطق المغرب الواقعة بين المنطقة الساحلية ، وبين البراري والمفاوز(الصحراء)، والتي تفصل المغرب عن السودان، ويبدأ هذا الطريق من إفريقية ويسير إلى آخر أعمال طنجة ويمر في بلاد عامرة ومدن متصلة[1]، وهذا الطريق عبارة عن شبكة كبيرة من الطرق التي تربط المراكز أو الأسواق التجارية المغربية ، ونجد في هذه الشبكة طرقا برية رئيسية وأخرى فرعية كثيرة نذكر منها :

- **الطريق الأول من القيروان باتجاه تيهرت :** ويبدأ من القيروان باتجاه مدينة تيهرت غربا، فقد ذكر "الأصطخري" هذا الطريق بإيجاز شديد، مكتفيا بالإشارة إلى أنه يستغرق مسيرة عشرين مرحلة[2]، بينما ذكرها "البكري" بتسع عشر مرحلة[3].

وقدم "ابن حوقل" تفاصيل حول هذا الطريق باتجاه تيهرت، فهو يجتاز مرماجنة [4]، هذه المدينة التي اعتبرت أول مفترق طرق، إذ يتفرع منها طريقان، واحد باتجاه شمال غرب في ناحية تيجس[5]، والآخر باتجاه الغرب في ناحية مسكيانة ثم باغاي ، ومن هذه المدينة إنشطر هذا الطريق إلى فرعين، واحد باتجاه بلزمة ونقاوس وطبنة، وهذا الممر يلتقي بالفرع المؤدي من مرماجنة إلى تيجس، ثم إلى قسنطينة ثم ميلة وسطيف وآشير ، أما الفرع الثاني فيفترق من باغاي نحو دوفانة ودار ملول[6]، ثم نحو طبنة ومقرة ، والمسيلة لينتهي بتيهرت، وينتهي هذا الطـــريق عند مـــدينة فاس، فهو يمر بالسير إلى باغاي وطبنة، مارًّا بدار مدلول، وقبل أن يصل هذا الطريق إلى المسيلة يمر على مقره وهو مترل فيه مرصد لجباية الضرائب التجارية[7] .

- **الطريق الثاني من القيروان باتجاه مسيلة :** هذا الطريق هو الفرع الشمالي من الطريق البري العام الذي يربط القيروان بالمسيلة، حيث يمر عبر بلاد كتامة و الأربس، و يسير باتجاه مدينة تيجس ومنها إلى قرى عديدة حتى يصل إلى مدينة المسيلة [8]، ثم يسير الطريق البري باتجاه المغرب نحو مدينة تيهرت وفاس مركز التقاء الطرق التجارية البرية الداخلية ، ويوافق "المقدسي" قول "ابن

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84 .

[2]– الأصطخري، المصدر السابق، ص 46 .

[3] – البكري، المصدر السابق، ص 79 .

[4]– ابن حوقل، المصدر نفس ، ص ص 84 – 85 .

[5]– الإدريسي، نزهة المشتاق، مج 02، ص 293 . البكري، ص 53 .

[6]– الإدريسي، نزهة المشتاق، مج 01، ص ص 263 – 264 .

[7]– ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 84، 85، 86 .

[8]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 86 – 87 .

حوقل" في وصفه لهذا الطريق، ويحدد مسافته فيذكر أنه يبدأ من تيهرت إلى مدينة آشير ثم إلى المسيلة ثمانية أيام ، ومنها إلى مجانة ثم إلى القيروان ستة أيام، وهو أقصر الطرق [1]، إذ لا تتعدى مسافته أربعة عشر يوما، ومن مدينة تلمسان ثم على مدن العلويين، ويستمر هذا الطريق إلى مدينة فاس، ويستغرق الطريق بين مدينتي تيهرت وفاس حوالي خمسين مرحلة[2] .

ويصف "ابن حوقل" الطريق بين فاس والمسيلة مبتدئا بمدينة فاس ، ومنتهيا بالمسيلة ثم القيروان، والسبب كما قال هذا الجغرافي : " لأنني سلكته من المغرب إلى إفريقية "، والواضح أن هذا الطريق يسير من مدينة فاس باتجاه المسيلة في مناطق سهلية وذات أنهار ووديان .

ويسير الطريق في هذا الجزء من بلاد المغرب بموازاة الساحل وليس بعيدا عنه، فهو يمر بجرارة أبي العيش التي تقع على بعد ستة أميال من البحر، ومنها إلى تلمسان ويستمر سيره إلى مدينة أفكان[3]، ومنها يتفرع إلى فرعين، أحدهما يسير باتجاه الشرق إلى تيهرت الواقعة على بعد ثلاثة مراحل من أفكان ، أما الفرع الثاني فيسير من هذه المدينة بموازاة البحر إلى مدن شلف وتنس والخضراء، ومنها ينحرف الطريق إلى مدينة مليانة ليصل بعدها إلى مدينة أشير التي تبعد بثلاث مراحل من المسيلة ، ومن هناك يرتبط هذا الطريق بالطرق الفرعية الثلاثة المتفرعة من المسيلة و المؤدية إلى القيروان، في حين نجد أن كل من مدينة المسيلة و أفكان وأشير غ دت من أهم المراكز التجارية التي تلتقي عندها القوافل التجارية ، فضلا عن الطرق التي كانت تصل بين تنس والخضراء وسوق إبراهيم ومليانة وغيره [4]، ويبدو أن منافسة مدينة أفكان لتيهرت بلغت ذروتها في القرن الرابع الهجري، حيث أصبحت نقطة اتصال للطرق التجارية في المغرب الأوسط .

ب / المسالك المائية : وتمثلت هذه المسالك في الأنهار حيث أُستخدمت المسالك النهرية في النشاط التجاري الداخلي، وقد أشار البكري إلى وادي تافنة، أن السفن كانت تدخل فيه من البحر إلى مدينة أرشكول[5]، وقد أكد ذات المعلومة صاحب كتاب الاستبصار[6] .

2 – الأسواق : شكلت الأسواق عصب الحياة الاقتصادية في المجتمع المغربي عامة ، و المغرب الأوسط خاصة هذا ما عكسته الأدبيات التراثية المختلفة، من حوليات تاريخية وجغرافية وكتب

---

[1]– المقدسي، المصدر السابق، ص ص 246 – 247 .

[2]– الإصطخري، المصدر السابق، ص 49 .

[3]– البكري، المصدر السابق، ص 79 .

[4]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 88 – 89 .

[5]– البكري، المصدر نفسه، ص77 .

[6]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 134 .

حسبة ونوازل فقهية وغيرها ، ويتّضح من خلال ذلك، أنّ لكلّ سوق وقت محدّد لانعقاده ونوع معيّن من السّلع التي يختص بها .

أ / **أنواع الأسواق** : إن استقراء المصادر يكشف عن وجود ثلاثة أنواع من الأسواق كان ينظمها المجال الاقتصادي في المغرب الإسلامي :

- **الأسواق اليومية** : هي الأسواق التي كانت موجودة بصفة دائمة في كل المدن ، فقد كانت تعج بمختلف السلع وأصناف المتاجر، ويتقاطر عليها التجار من كل حدب وصوب، فقد ذكر (الإدريسي) أن حصن تأكلات به سوق دائمة[1] .
- **الأسواق الأسبوعية** : كانت تعقد في أيام معينة من الأسبوع، وكثيرا ما وردت في المصادر الجغرافية معلومات في غاية الدقة عند تحديدها لليوم بعينه، وعلى سبيل الذكر لا الحصر سوق الجمعة في مدينة مليانة [2]، وسوق الخميس[3]، غير أن بعض الأسواق لم تظبط أسماءها فمدينة "أشير كان بها سوق في يوم معروف يجلب منه كل لطيفة ويباع بها كل طريفة "[4].
- **الأسواق الموسميّة** : ونسوق في هذا الصدد مثال للسوق الذي قال عنه البكري : "إن به سوق جامعة ثلاث مرات في السنة وهو وقت اجتماعهم من ذلك في شهر رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء "[5]، وهذا يعني أن السوق كان ينعقد خلال ثلاثة مناسبات دينية هامة في السنة.

وحسبما أكدت المصادر، أن هذه الأصناف من الأسواق عجت بمختلف السلع وأنواعها، والدليل على ذلك أن سوق الغدير" كان فيه فواكه كثيرة، وهي رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار، فقنطار عنب فيها بدرهم واحد " [6]، وهذا يعكس طابع الإقبال الواسع على هذه الأسواق لإقتناء السلع .

وإلى جانب عنصر التنظيم الخاص بالتوقيت الذي كان يتراوح ما بين اليوم والأسبوع والموسم، عرفت أسواق مدن المغرب تنظيما على مستوى الأمكنة، حيث قسم السوق فيها حسب

---

[1]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 01، ص 262 .

[2]- المصدر نفسه، ص ص 252 – 253 .

[3]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 01، ص 239 .

[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 254 .

[5]- البكري، المصدر السابق، ص 112 .

[6]- المصدر نفسه، ص 60 .

نوعية البضائع المعروضة للبيع : كسوق سيدي بوجمعة، الذي يعقد كل يوم أربعاء بمدينة تلمسان وسوق بني راشد الذي يعقد كل خميس ويباع فيه عدد وافر من الماشية والحـ ـــبوب والزيت والعسل، وكثير من المنسوجات وأشياء أخرى أقـ ـــل قيمة، كالحـ ـــبال والسّـــروج وحاجيات الخيل، كما وجد عدد آخر من الأسواق الحرفيّة مثل : سوق الخرّازين، وسوق النّحاسيين وسوق العطّاريين، وسوق الغزل والنّسيج، وسوق الخضر والفواكه، وسوق اللّحوم[1] .

كـ ما نسبت الأسواق إلى أسماء القبائل المشرفة عليها ،كسوق هوارة وكتامة ومغراوة ، في حين اشتهرت أسماء بعض المدن بالأسواق، كمدينة سوق إبراهيم وسوق كرام[2] .

وكانت الأسواق موجودة في كل مدينة وقرية، وقد أشار المقدسي إلى أسواق تاهرت فقال" هو بلد . . . رشيق الأسواق . . . " [3] ، وهكذا كانت بلاد المغرب الأوسط تشتمل على عدة أسواق .

وتفيد إحدى النّوازل الفقهيّة ماكان يسببه الدّلاّلون من أضرار جسيمة للباعة والتّجار، لأنّ المشتري كان يقوم " بتقليب السّلعة في حوانيتهم قاصدًا الإشتراء، ويرى السّلعة في المناداة أقلّ ثمنًا من التي في الحوانيت . . . فيترك الإشتراء منهم ويميل إلى سلعة المناداة لدى الدّلاّلين، وينتج عن ذلك عدم تسويق سلعهم إلاّ في آخر النّهار، ممّا يضرّ بمصالحهم، لأنّ التّاجر أو البائع يسعى إلى بيع سلعته في أولّ النّهار ليشتري بثمنها سلعًا غيرها[4] .

ب / السلع : ويقصد بها مجموعة المعاملات الجارية التي حصلت داخل مدن المغرب الأوسط ، وشملت المبادلات بالسلع والبضائع التي أنتجت محليا أو التي استوردت من الخارج ، وقد كانت هذه المعاملات تتم بواسطة عوامل مساعدة كالتي ذكرناها سالفا، منها توفر طرق ومسالك المواصلات بين مختلف مناطقه المتباعدة، وكذلك انتشار الأسواق، التي تعد عاملا مؤثرا في الحركة التجارية .

وقد أطنبت المصادر الجغرافية لهذه الحقبة التاريخية في الحديث عن الرّواج والانتعاش التجاري الذي تميزت به بعض المدن، إذ كان للثروة المتنوعة بين المنتوج الفلاحي والصناعي، أثرها الواضح في تفعيل الحركة التجارية الداخلية، فمدينة تيهرت اشتهرت بتربية الماشية، " فالأغنام

---

[1]- أنظر : الونشريسي، المصدر السابق ،ج 03 ، ص 157 – 217 . ج 10، ص 242 – 409 . ج 11، ص 125 .

[2]– البكري، المصدر السابق، ص ص 60 – 61 .

[3]– المقدسي، المصدر السابق، ص 228 .

[4]– الونشريسي، المصدر السابق،ج 05، ص 157 .

كانت تجلب منها إلى سائر مدن المغرب لرخصها وطيب لحومه ا "[1]، وهذا ما أكده الإدريسي بقوله :" . . . وأما البقر و الغنم بها فكثيرة جدا "[2] .

وبالمثل اشتهرت بونة بتجارة " الأنعام من سائر الماشية والدواب والكراع "، وكما تميزت أيضا مرسى الدجاج بوفرة الألبان والمواشي " مايعرف غيرهم ممن يجاورهم "[3]، وفي هذا دلالة واضحة على الوفرة والفائض في الإنتاج .

شكلت المحاصيل الزراعية نسبة كبيرة في التبادل التجاري الداخلي، خاصة وأن الكثير من مدنه شهدت وفرة في الإنتاج الزراعي بأنواعه وكثيرا ما كان يزيد عن الحاجة، فعلى سبيل الذكر وللحصر أن مدينة بونة " كان بها القمح والشعير في أكثر أوقاتها ما لا قدر له، وربما كان يزيد عن حاجتها فتصدره على بقية المدن التي لا تتوفر فيها هذا المحصول ".

أما بوادي البرشك فكانت لهم من الزرع والحنطة ما كان يزيد عن حاجتهم ، وقد اشتهرت كل من مدينة زلول والمسيلة وتيهرت والبصرة وسجلماسة بكثرة المحاصيل من القمح والشعير[4].

و من الفواكه التي كانت تشكل سلعا مهمة في التبادل التجاري المحلي، محصول التين الذي كان من المنتوجات الشهيرة حيث يذكر البكري بشأنه: ". . . وهي أم أقاليم بلد قمونية، وحولها ثمار كثير من جميع الأصناف، أكثرها شجر التين وهو يفوق تين إفريقية طيبا، ومنها يحمل التين زبيبا إلى القيروان "[5]، ومن مدينة سطيف كان " يحمل الجوز إلى سائر المدن المجاورة "[6]، وثمة محاصيل أخرى كانت ضمن قائمة التبادل المحلي كالقنب والعصفر والكمون والكراويا، والحناء، حيث صدّرت مدينة درعة الحناء إلى مدن المغرب المختلفة[7]، وقد ذكر صاحب كتاب "الاستبصار" أن مدينة تنس كان يحمل منها الكثير من المواد الغذائية إلى سائر مدن المغرب وإفريقية[8] .

---

[1]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 179 .

[2]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 01، ص 256 .

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص77.

[4]- ابن حوقل، المصدرنفسه، ص77، 80، 85، 88، 90 .

[5]- البكري، المصدر السابق، ص75.

[6]- القلقشندي, المصدر السابق, ص

[7]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج01، ص227 .

[8]- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص133 .

و لم يكن للثروات المعدنية وغير المعدنية أثر واضح في عملية التبادل التجاري الداخلي إلاّ في بعض الحالات ، وحول ذلك أشار ابن حوقل إلى مدينة بونة حيث قال : "وبها معدن الحديد كثير ويحمل منه إلى الأقطار الغزير الكثير [1]، هذا وقد ذكر البكري أن ه كان يجلب من مرسى جيجل "معدن النحاس، حيث كان يحمل إلى إفريقية وغيرها "[2]، وكانت صناعة المطاحن التي اشتهرت بها مجانة تصدر إلى مختلف مدن المغرب لإستعمالها في صناعة الرحى[3] .

3 – التّجارة الخارجيّة للمغرب الأوسط :

كان للاستقرار السّياسي الذي شهده المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري أثره في ازدهار وتنشيط حركة التّجارة به ، حيث شهدت أسواقه نشاطا متميّزا في البيع والشّراء، وذلك بتشجيع كبار التّجار وصغارهم على المشاركة في إقامة وتفعّيل الأسواق اليومية و الأسبوعيّة و الموسمية في مدن المغرب الأوسط، إضافة إلى إزدهار التجارة الخارجية، والتي كان للموانيء دور كبير في رواجها [4].

ل قد لعبت الموانيء التّجارية دورا أساسيا في تفعيل المبادلات التّجارية عن طريق البحر الأبيض المتوسط، من حيث السلع والبضائع الواردة إلى أسواق المغرب الأوسط .

وتذكر كتب الجغرافيا والرّحلات، عددًا من الموانئ التّي قام ـــت بدور فاعل في الحـــركة التّجارية، ومن هذه الموانئ ميناء تنّس فهو من أكبر الموانئ التي يتعدى إليها الأندلسيّون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم[5]، أمّا المرسى الكبير الذي لا يبعد عن وهران سوى بضعة أميال، فهو من أشهر موانئ المغرب الأوسط، التي ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسّفن المحمّلة بالبضائع والقادمة من أروبا[6]، كما كان لميناء مستغانم رغم صغر حجمه، دورًا هامًا في استقبال منتجات أوروبا لتغطية الاحتياجات الاستهلاكية للسّكان، رغم أنّ أصحاب السّفن لا يحققون أرباحًا مهمّة لشدّة فقر السّكان[7].

---

[1]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77 .

[2]– البكري، المصدر السابق، ص ص 82 – 83 .

[3]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84 .

[4] – أنظر الملحق رقم : (05) .

[5]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78.

[6]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج 02، ص 30 .

[7]– المصدر نفسه، ج 02، ص 32 .

وكانت أغلب الصادرات تتمثل في القمح والشعير، لاسيما سواحل تلمسان والسهول الغربية، إضافة إلى السكر والتمر والشب والنُّحاس، وأكسية الصوف، وأدوات سروج الخيل، ومن الملاحظ أن الطعام كان أهم ماتصدره الموانيء الجزائرية إلى الأندلس، فضلا عن بعض المواد الخام الأخرى من معدنية وغير معدنية[1]

وخلاصة القول أنه كان لابدّ أن يصاحب هذا النشاط التجاري الواسع وجود تنظيمات خاصة لتسهيل مهمة التجار من جهة، و إستمرار تدفق ومرور البضائع والسلع إلى البلاد بسهولة كبيرة من جهة أخرى ، إضافة إلى أ ن حركة التبادل التجاري انتعشت في هذه المرحلة التاريخية بشكل واسع بين مختلف مدن بلاد المغرب، إذ غالبا ما كان يستورد التجار ما تفتقر إليه أسواق مدنهم، ويصدرون ما يفيض من حاجة السكان سواء كان داخل الإقليم الواحد أو الأقاليم الأخرى، متحدّيين في ذلك جميع المعوقات، التي كثيرا ما كانت تسبب في عرقلة تحركاتهم من اضطرابات وثورات وضرائب .

[1] – عبد الواحد ذنون، **التبادل التجاري بين الموانيء الجزائرية والأندلس في القرنين الخامس والسادس** أعمال الملتقى الدولي : الموانيء الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر، ص 420 .

المبحث الثالث : الأوضاع الإجتماعية

أولا : طبقات المجتمع

1 – الطبقة الحاكمة

2 – طبقة الجند

3 – طبقة التجار

4 – طبقة العامة

5 – طبقة العبيد

6 – أهل الذمة

ثانيا : مظاهر الحياة العامة للسكان

1 – اللباس والطعام

2 – العادات والتقاليد

ثالثا :المرأة في المجتمع المغاربي

1 – مكانتها

2 – المرأة والزواج

المبحث الثالث : الأوضاع الإجتماعية

أولا : طبقات المجتمع

شهد مجتمع المغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي (04 هـ / 10 م) تنوعا في طبقاته وطوائفه نتيجة للظروف السياسية والإقتصادية، وكذا الإتجاهات الدينية والثقافية التي مرّت بها بلاد المغرب الإسلامي عموما، إضافة إلى تعدد نشاط السكان، وهذه الظروف كلها أدّت إلى تعدد طبقات المجتمع، ونذكر منها :

1 – الطبقة الحاكمة :

ذكرنا في المبحث الأول أن كل من الدولة الفاطمية والزّيرية قد تداولتا على حكم بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري، وكان حكام هذه الدول يتميزون عن طبقات المجتمع الأخرى ببعض الصفات، فمنذ دخول عبيد الله المهدي لبلاد المغرب أظهر للناس وللخاصة من رجاله أنه الحاكم المطلق الذي تجب طاعته ويهاب جانبه، إذا استهل أعماله بأخذ الأموال التي كانت بأيدي دعاته و مشايخ القبائل، واستولى عليها[1].

ومما يدل على مظاهر العظمة لدى الحكام، وخاصةً في العهد الفاطمي، ما كان من مجالس الشعر في قصور الحكام، وكان ذلك من أجل المدح و التعظيم، و من بين الشعراء الذين مدحوا عبيد الله المهدي (الشاعر سعدون الورجيني)، فأمر له المهدي بصلة جزيلة، وكان يُجزى له عليه لكل عام [2] .

ونفس الشيء بالنسبة لخلافائهم من بني زيري، ففي عهد المعز بن باديس كان الشعراء يُجذَبون إلى بلاطه، ومن أشهرهم شاعر القيروان الشهير ابن رشيق و ابن شرف[3] .

كما اعتنى الخلفاء الفاطميون، بمظهرهم فاعتنوا بملابسهم وبالغوا في التأنق بلباسهم، حتى صار لكل يوم لباس ولون معين، ولكل مناسبة بدلة أو أكثر، و كان لباس عبيد الله المهدي، كما وصفه ابن عذارى ". . . وعليه ثوب خزٍ أدكن ، وعمامةٍ مثله ، وتحته فرس وردٍ و أبو القاسم

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص150 .

[2]– القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، تح : فرحات الدشراوي، د ط، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص302 .

[3]– سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين** ، ج3، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990، ص410 .

خلفه، عليه ثوب خزٍ خلوقي وعمامة مثله، تحته فرس أشقر. . . وبيده سبتية يمسح بها العرق و الغبارعن وجهه، و الناس حواليه وبين يديه أقواط يسلمون عليه . . ." [1].

وقد ذهب الفاطميون في بعض الأحيان إلى المغالاة في إظهار البذخ، وتجلى ذلك من خلال الأكسية التي كانت تكسى بها دوابهم، حيث كانت تستعمل مختلف المنسوجات الحريرية المطروزة بالذهب و الفضة و الحل، وخاصة في الأعياد و المواسم[2] .

أما في عهد الدولة الزيرية، فهي الأخرى تميز خلفائها بمظاهر البذخ و الترف، حيث يشير ابن خلدون إلى فترة حكم المعز بن باديس فيقول "... واستمر ملك المعز بإفريقية و القيروان ، وكان أضخم ملك عُرف للبربر بإفريقية وأترفه و أبذخه..." [3] .

ومن مظاهر ترف الفاطميين و إسرافهم أيضاً، قيمة الهدايا التي كانوا يوزعونها على أعيان الدولة و كبار موظفيها، حيث أن المنصور بالله قدم هدايا قيمة إلى زعيم صنه ـــاجة زيري بن مناد، كان من جملتها خيول مسّرجة ولجم محلاة بالذهب و الفضة[4]، كما يصف لنا ابن خلدون مظاهر الترف أيضا في دولة بني زيري في عهد الخليفة المعز بن باديس عند استقباله القائد ابن حماد : " . . . من أحوالهم في الولائم و الهدايا و الجنائز و الأعطيات ما يشهد بذلك . . . و إن بعض توابيت الكبراء منهم كان العود الهندي بمسامير الذهب . . . "[5] .

وما يمكن أن نستنتجه هو أن الطبقة الحاكمة في كل من الدولتين الفاطمية والزيرية ببلاد المغرب الأوسط قد تميزت بمظاهر الترف و البذخ و الوصول في بعض الأحيان إلى التبذير، و خاصة في عهدي الخليفة عبد الله المهدي بالنسبة للدولة الفاطمية، والمعز ابن باديس بالنسبة للدولة الزيرية .

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، ص158 .

[2] – رفيق بوراس، **الأوضاع الإجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي (مرقونة) ، تحت إشراف : محمد الصالح مرمول، قسم التاريخ و الآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الدراسية : 2007 / 2008، ص 43 .

[3]– عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 06، ص 210 .

[4]– ابن حمّاد (أبو عبد الله ابن علي الصنهاجي ت : 628 هـ / 1230 م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، د ط، مطبعة جول كاربونيل، الجزائر، 1935، ص 29 .

[5]– عبد الرحمان ابن خلدون، ج 06، المصدر السابق، ص 210 .

2 – طبقة الجند :

كانت طبقة الجند في بلاد المغرب الأوسط أهم الطبقات التي أدت دورا كبيرا في تثبيت دعائم السلطة الحاكمة ، حيث حرص الفاطميون منذ وقت مبكر على تكوين جيش قوي، يكون قادرا على حماية كيانهم السياسي، والدفاع عن مصالحهم في الداخل والخارج .

وقد بدأت نواة الجيش الفاطمي تتشكل مع أفراد من قبيلة كتامة من الذين آمنوا بدعوة أبي عبد الله الشيعي، فكانوا بمثابة العصبة حوله تحميه وتدافع عنه ، بصدّ خصومه [1]، ومع مرور الزمن تضاعف عددهم و أصبحوا بحـــاجة إلى نظام خاص، و قد أورد القـــاضي نعمان في شأن أن : " . . . قسم كتامة أسباعاً وجعل لكل سبعٍ منها عسكراً وقدم عليهم مقدما واطلق بكل موضعٍ داعياً وسمَّ المقدمين والدعاة المشايخ ــ وإن كان فيهم من لم يبلغ السن ــ "[2] .

وقد كان الخليفة الفاطمي هو القائد الأعلى للجيش، وعنه تصدركل الأوامر الخاصة بالحرب كما يتولى بنفسه الإشراف على تنظيم صفوف الجيش وأصبح المهدي يجلس على عرش الخلافة في رقادة ويشرف مباشرةً على تسيير الجيوش الغازية ضد بلاد الروم أوقد يكلف بذلك ولي عهده[3] .

وعن شروط الإلتحاق بصفوف الجيش الفاطمي، فإن الأمر يتوقف على مدى تفاني الجند في الخدمة فإن ذلك من شأنه أن يرفع من رتبة جنديٍ بسيط إلى قائد عام على الجيش[4] .

أما الجيش في عهد الدولة الزيرية، فقد كان يتألف من الصنهـــاجيين وحلفـــائهم من البربر، ومع توالي الأيام أصبح أكثر تنظيما وذلك بدخول أصناف جديدة تمثلت في الزناتيين والعبيد بمختلف أشكالهم[5] .

وقد إهتم الزيريون بإنشـــاء الأســـاطيل لحماية سواحـــل البلاد من غارات الأعداء عليهم، حيث أسسو دورا لصناعة السفن الحربية، وأهم مركز بحري في بلاد المغرب الأوسط هو بونة، وقد قام أسطولها بدور هام إستطاع أن يساعد الأسطول الزيري من خلال الإغارات على سردينيا وكورسيكا[6] .

---

[1] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 100 .

[2] – المصدر نفسه، ص ص 124 – 125 .

[3] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص، 168 – 169 .

[4] – رفيق بوراس، المرجع السابق، ص 49 .

[5] – محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص 187 .

[6] – المرجع نفسه، ص 187 .

وقد خص القاضي النعمان حين تصنيفه الطبقات، طبقة الجند بالمراتب الأولى إذ يقول في ذلك : " . . . إعلم أن الناس خمس طبقات لايصح بعضها إلا ببعض فمنهم الجنود . . . "[1]

3 – طبقة التجار :

احتلت طبقة التجار مكانة مرموقة في مجتمع بلاد المغرب الإسلامي، حيث كان النشاط التجاري يعتبر مورداً هاماً لنظام الجباية، وقد كان التجار في بلاد المغرب يتمتعون بوضع إجتماعي مريح، ففي عهد الدولة الفاطمية قام أبو عبد الله الشيعي بمنحهم الأمان و أحسن استقبالهم[2]، وقد أورد القاضي النعمان في هذا الصدد : " . . . إن التجار يسافرون بالأموال الصامتة والنعم الظاهرة يمر بها الواحد و الإثنان في الجبال و الشعاب . . . و يسير حيث أحب واشتهى كأنما هو في بيته أو سوقه يبيت آمنا و يصبح سالماً . . . "[3] .

وقد شدد الفاطميون الرقابة على عمل التجار فكان بصحب المحتسب طائفة من الجند كي يساعدوه على آداء مهامه على أكمل وجه، حيث أورد ابن حـــوقل في وصف أســـواق بونة "... ولها عامل قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرابطة . . . " [4] .

ويبدو أن النشاط التجاري لم يكن مقصوراً على التجار المحليين بل هناك عناصر أندلسية حيث وصف ابن حوقل أهمية هذا النشاط الإقتصادي ذاكراً مـــدينة تنس إذ ورد في الصـــدد : " . . .وهي من أكبر المدن التي يتعدى عليها الأندلسيون بمراكيبهم ويقصدونها بمتاجرهم و ينهضون منها إلى ما سواهم ... "[5] .

ولقد بلغ التجار في المغرب الأوسط درجة من الثراء، و تجلى ذلك بحسب ما ذكره ابن حوقل حيث يقول : " . . . و لقد رأيت بأودغست صكاً في ذكر حقٍ لبعضهم على رجل من تجار أودغست وهو من أهل سجلماسة بإثنين و أربعين ألف دينار و ما رأيت و لا سمعت بالمشرق في هذه الحكاية شبيها و لا نظيرا . . . "[6] .

ومما يمكن استنتاجه طبقة التجار ببلاد المغرب الإسلامي عموماً شكلت أهمية كبرى في الحياة الإجتماعية و الإقتصادية معاً، حيث مثل التجار العنصر الفعال في المجتمع .

---

[1] – القاضي النعمان، **دعائم الإسلام**، ج 01، د ط، دائرة المعارف، القاهرة، 1963، ص 357 .

[2] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج 01، ص 150 .

[3] – القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص 122 .

[4] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص 77 .

[5] – المصدر نفسه، ص 78 .

[6] – المصدر نفسه، ص 96 .

4 – طبقة العامة :

و تشمل هذه الطبقة الزرّاع و الفلاحين وأهل المهن وصغار التجار والعاطلين عن العـــمل و ذوي العاهات و غيرهم من المساكين و الفقراء و الخدّام، و باختصار فهذه الطبقة تشمل كل من لم يرتبط بالسلطة الحاكمة أو كل من ليس له موارد مالية مستقرة [1] .

ويعرف جرجي زيدان العامة بقوله : " هم أخلاط من غوغاء ولفيف من أمم شتى و صناعات شتى وهم جهّال أتباع من سيف إليهم من غير تفضيل "[2] .

وقد ارتبط مفهوم العامة في نظر الفاطميين بكل ما هو حقير ووضيع ، فقد وصفهم المعز لدين الله الفاطمي : " . . . بأنهم لأشباه حجرة لا ورق لها و لا جوهر لها، كمثل ما تبنى به الجدران ويُحمل عليه الجذوع و يعمل منه القناطير تمر عليها البهائم والكلاب و السباع و يطؤها الناس ، وما بين ذلك تفاوت وهم درجات . . . " [3]، و يندرج تحت طبقة العامة كما ذكرنا سابقاً، فئة الفلاحين، وأصحاب الأراضي وبما أن خدمة هي أساس كسب هؤلاء فإن ثقل الضرائب التي فرضها الفاطميون على الفلاحين خاصة على أيام عبيد الله المهدي كانت سببا في تدهور أحوالهم الإقتصادية والإجتماعية و قد أورد ابن عذارى في هذا الشأن : " . . . أنه في سنة (305 هـــ / 917 م) أصاب إفريقية طاعون شديد مع الجور الشامل من الشيعة و التعلل على أموال الناس في كل جهة "[4] .

كما نجد ضمن هذه الطبقة فئة الفقراء و المساكين وهي تمثل الجزء الأكبر في مجتمع المغرب الأوسط وقد كانت الحروب التي شهدتها المغرب الإسلامي أثراً في زيادة نسبة هذه الفئة .

وما يمكن أن نستنتجه أن طبقة العامة بحكم جهلها وبساطة حياتها فقد تعرضت لكل أشكال الظلم و الجور والإبتزاز من طرف السلطة الحاكمة .

5 – طبقة العبيد :

لقد شكل العبيد على إختلاف أجناسهم و ألوانهم شريحة كبيرة داخل النسيج الإجتماعي للمغرب الإسلامي، حيث أصبح لهم تأثير ملحوظ لاسيما في المجال العسكري والإداري، كما في

---

[1] – عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص ص 256 – 257 .

[2] – جرجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، مج 02، د ط، منشورة دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، ص 569 .

[3] – القاضي التعمان، **كتاب المجالسات و المسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي وأخرون، ط 01، دار المنتظر، بيروت، 1996، ص232 .

[4] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج 01، ص 181 .

باقي المجالات الأخرى، هذا فضلاً عن الوظائف الأساسية المنوطة بهم كالخدمة في قصور الخلفاء و الأمراء .

أ / **العبيد السودان** : انتقل هؤلاء العبيد من بلاد السودان إلى الديار الإسلامية حيث ذكر الإصطخري : " . . . الخدم السود الذين يباعون في بلاد الإسلام منهم وليس هم بنوبة و لا بزنج ولا بحبشة ولا من البجة . . . " [1]، و أضاف أيضا : " ... الذي يقع من المغرب من بلاد السودان . . . "[2] ويقول ابن حوقل : " . . . و الخدم المجلوبون من بلاد السودان . . . "[3] .

وقد كان ظهورهؤلاء العبيد في بلاد المغـــرب الأوســـط خاصة في عهد الـــدولة الرستمية، و يبدوأن وجودهم كجنود كان قليلا على العهد الرستمي نظرا للأمن والإستقرار الذي كان سائدا في البلاد .

لكن مع بداية القرن الرابع بدأت مشاركتهم في الحروب تظهر خاصة ضمن الجيش الفاطمي، ثم الجيش الزيري، فقد اتخذ المهدي العبيد من السودان والروم[4]، و بدأ دور هذه العناصر السودانية يتضح أكثر على أيام الخليفة المعز لدين الله حيث كانت ضمن فرق الجيش الذي سيره هذا الأخير لفتح مصر سنة (362 هـــ / 972 م)[5] .

ب / **العبيد الصقالبة** : حيث يذكر ابن حوقل أن الصقالبة [6] كانوا من ضمن السلع التي ترد من المشرق إلى المغرب : ". . . و الخدم المجلوبين من أرض الصقالبة على الأندلس " [7]، حيث كانت بلاد الأندلس طريقا للحصول على هؤلاء الصقالبة .

وظهر الصقالبة في العهد الفاطمي واستمروا في العهد الزيري، فأبوا عبد الله الشيعي اشترى الصقلي (بشرى) المعروف بالإيكجاني في إيكجان موضع نزوله ببلد كتامة[8] .

وقد استفاد الفاطميون من خدمات هذه العناصر في المجال العسكري ، حيث برز منهم قادة عسكريون أكفاء قادوا جيوش الفاطميين إلى الإنتصار في كثير من المواجهات العسكرية التي

---

[1]– الإصطخري ، المصدر السابق ، ص 40 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 45 .

[3]– ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 95 .

[4]– عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص 267 .

[5]– لمبار موريس ، **الإسلام في مجده الأول** ، ترجمة وتعليق : اسماعيل العربي ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1979 ، ص 92 .

[6]– الصقالبة وهم شعوب منحدرة من أصول شتى والتي مازالت تنـــزل الأراضي المجاورة لبلاد الخزر بين القسطنطينية و أرض البلغار . للمزيد انظر موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ج 21 ، ص 6549 وما بعدها ، و أيضا ياقوت الحموي ، ج03 ، المصدر السابق ص 416 .

[7]– ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 95 .

[8]– عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص 268 .

خاضوها ضد خصومهم، وقد استطاع (بُشرى الصقلي) قيادة الجيش حيث أنقذ عبيد الله المهدي و ابنه القائم من الأسر [1]، كما استطاع أحد الصقالبة أيضا و يدعى (صابر) من إلحاق هزيمة نكراء بجيش الروم في البحر سنة (316 هـ / 928 م) وأن يعود إلى المهدية محملا بغنائم و أموالا كثيرة حيث يقول ابن عذارى في هذا الصدد : " . . . فافتتح موضعا يُعرف بالقيروان و قلعة الحسب واحتوى على ما فيها . . . فصالحه أهلها بمال وديباج . . . "[2] .

وقد أُسندت للعبيد مختلف الأعمال ، فعملوا كخدم في المنازل، كما عملوا في مختلف الصناعات و المهن فكان منهم البناء و النجار و الحداد و الحارس، كما عملوا في الميدان الزراعي[3]، كما خدم العبيد في القصور و كان منهم الفنانون في مجال الرقص والغناء و التمثيل ذكوراً و إناثاً تلبية لحاجة الترف والبذخ .

و ما يمكن أن نستنتجه في طبقة العبيد سواء السودان أو الصقالبة ، أنهم كانوا يتواجدون بكثرة في بلاد المغرب الإسلامي عموماً، وهذا ما يُستدل به على تواجدهم في بلاد المغرب الأوسط لأنهم جزءٌ من هذه البلاد .

6 – طبقة أهل الذمة :

عاش أهل الذمة من اليهود و النصارى في بلاد المغرب الأوسط، و تأثروا بما يحدث في المجتمع ، كما كان لهم نصيب في النشاط الإقتصادي باعتبارهم جزء لا يتجزأ من المجتمع يتأثرون بالأحداث الجارية و يخضعون لنفس الظواهر التي خضع لها المجتمع في تلك الفترة .

و المقصود بكلمة الذِّمي : هو كل من يتدين بغير دين الإسلام، و يعيش في حماية الإسلام و في كنف المجتمع الإسلامي محافظاً على تدينه بغير دين الإسلام، فأهل الذمة هم من يدفعون الجزية للمسلين الذين عاهدوهم على الحماية و الأمان و تسهيل الأعمال[4] .

لقد شكل أهل الذمة من اليهود و النصارى ، جاليات ضمن سكان المغرب الإسلامي فقد كانت تجاور بيوت المسلمين والنصارى، و لعل من أبرز المدن التي شهدت حضوراً واسعاً لجاليات يهودية و نصرانية لبلاد المغرب مدينة تاهرت على سبيل المثال[5] .

---

[1] – رفيق بوراس ، المرجع السابق ، ص 52 .

[2] – ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج 01 ، ص 193 .

[3] – عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق ، ص 270 .

[4] – حسين الحاج حسين ، **النظم الإسلامية** ، د ط ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، 1987 ، ص 335 .

[5] – رفيق بوراس ، المرجع السابق ، ص 78 .

و تشير المصادر إلى قيام مجتمعات يهودية في المدن الإسلامية بالمغرب : مثل القيروان و المهدية و آشير وتلمسان وفاس وسجلماسة وغيرهم ، حيث وفرت لهم السلطات الإسلامية حرية التنقل و السكن بسب سماحة الإسلام و المسلمين، ولإلتزام اليهود بما عليهم من ضرائب، و لم يتعرض اليهود للإضطهاد في بلاد المغرب إلاّ نادراً [1] .

وفي العهد الفاطمي كان أهل الذمة يتمتعون بجميع حقوقهم، ومنها حرياتهم في ممارسة شعائرهم الدينية، على أن يلتزموا بدفع الجزية في كل سنة إلى بيت المال الفاطمي، و مما جاء في هذا الصدد : " أن عبد الله الشيعي سأل الذي آتاه بمال الخراج ، فقال له : " من أين هذا المال الذي بيدك " قال : " جبيته من اليهود و النصارى جزية على حول مضى لهم "[2] .

كما تمكنت الطوائف المسيحية من الإستقرار في بلاد المغرب الأوسط فسكنوا العديد من مدنه ، مثل قسنطينة التي عاهدوا أهلها على دفع الجزية مقابل البقاء، و استقروا بمدينة طبنة في بلاد الزاب و مدينة بونة التي كانت مركز إشعاع ديني [3]، و قد اعتبرت تلمسان منطقة جذب و استقطاب للأقليات المسيحية [4] .

أما الطائفة اليهودية فإن أهم المدن التي استقروا بها فهي مدينة تنس المعروفة بموقعها الجغرافي و غناها بالموارد الإقتصادية و قد شُيدت من طرف جماعة من أهل الأندلس سنة (262 هـ / 875 م)[5] كما سكنوا مدينة واريجلان[6]، التي تعد مدخل عبيد السودان إلى بلاد المغرب الأوسط و إفريقية [7]، كما استقروا بمدينة آشير وهي مدينة محدثة تقع مقابل مدينة بجاية الواقعة على الساحل[8] ، ويُقال أن تسميتها شبيهة لإسم قبيلة يهودية ورد ذكرها في التوراة بإسم آشير [1] ،كما سكنوا مدينة تيهرت التي تعد من أهم مدن المغرب الأوسط[2] .

---

[1] – عبد الرحمان بشير، **اليهود في المغرب العربي** (22 – 462 هـ / 642 – 1070 م)، ط 01، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية، مصر، 2001، ص 111 .

[2] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج 01، ص 142 .

[3] – سميرة نميش، **دور اهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين** (07 – 10 هـ / 13 – 16 م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (مرقونة)، المشرف : عبدلي لخضر، قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة ابو بكر بلقايد بتلمسان، السنة الدراسية : 2013 / 2014 ، ص 37 .

[4] – عبد العزيز فيلالي، **دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الإسلامي**، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ص ص 64 – 65 .

[5] – ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج 02، ص 48 .

[6] – واريجلان أو وارجيلا : مدينة واقعة في الصحراء الشرقية من الجزائر، و تكتب اليوم بورقلة حاليا، انظر : التنسي، تاريخ بني زيان، ص 287 .

[7] – مجهول، المصدر السابق، ص 224 .

[8] – ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 01، ص 202 .

إن سماحة الدين الإسلامي لم تفرض على اليهود أماكن للإستقرار، بل وفرت لهم حرية السكن والتنقل، هذا من جهة ومن جهة أخرى، التزموا بدفع الجزية وما عليهم ضرائب و لم يتعرضوا للإضطهاد إلاّ نادراً .

وقد أقام يهود المغرب الأوسط بين المسلمين وامتزجوا بينهم في الأحياء وبنوا مساكنهم بجوار المسلمين شرط ألاّ ترتفع، أو تعلو على سقف منازل المسلمين ومساجدهم، كما سُمح لهم ببناء البيع الخاصة بهم لإقامة شعائرهم الدينية شريطة ألاّ يضربوا النواقيس[3] .

كما كان اليهود يميلون إلى حياة التجمع و يرفضون الإختلاط، و هذا ما دفعهم للسعي من أجل إقامة أحياء خاصة بهم، وهنا برز دور يهود المغرب الأوسط خاصةً يهود تلمسان الذين تمكنوا من إقناع السلطان من تجميعهم في حيٍ واحد، عُرف فيما بعد بحارة اليهود [4]، كما كان العرب يقدمون الأموال لليهود كي يستفيدوا منها في تجارتهم [5] .

وما يمكن أن نستنتجه في طبقة أهل الذمة، أن اليهود والنصاري يتمتعون بحرية تامة في حركتهم اليومية فعاشوا في رخاء و سلام، و اختلطوا بالعرب والمسلمين وهذا ما يدل على مدى رقي و سماحة الدين الإسلامي الذي يدعوا إلى مكارم الأخلاق .

ثانيـــا : مظاهر من الحياة العامة للسكان

عرف سكان المغرب عادات و تقاليد بعضها موروث عن الأجيال السابقة ، و بعضها استحدث خلا الفترة المعاشة أي خلال القرن الرابع الهجري نتيجة ظروف سياسية التي مر بها المغرب الأوسط، حيث تعددت أنواع العادات والسلوكات للمجتمع المغاربي على حسب طبيعة السكان وفئاته ونمط معيشته .

1 – اللباس والطعام :

تنوعت الألبسة والأطعمة في بلاد المغرب نظرا لتنوع أقاليمه، واختلاف البيئة الجغرافية وتنوع الطبقات الإجتماعية المشكلة للمجتمع ، فسكان المناطق الجبلية والأرياف الباردة يحتاجون

---

[1] – عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 46 .

[2] – المرجع نفسه، نفس الصفحة .

[3] – الماوردي (أبي الحسن بن محمد)، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**، تح : سمير مصطفى، د ط، المكتبة العصرية، بيروت، 2001، ص 137 .

[4] – عبدلى لخضر، **التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد** ط 01، دار إبن النديم للنشر و التوزيع، 2011، ص 25 .

[5] – فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7 – 9 هـ / 13 – 15 م)**، رسالة دكتوراه (مرقونة)، تحت إشراف: خالد كبير علال، قسم التاريخ جامعة الجزائر، السنة الدراسية : 2008 / 2009، ص 236 .

إلى ملابس صوفية تقيهم قر الشتاء، أما سكان الصحراء وتخومها الشمالية حيث الحرارة والشمس المحرقة فيكتفون بلباس خفيف يستر عوراتهم، كما يلعب تفاوت المستوى المعيشي بين السكان دورا كبيرا في نوع اللباس الذي ترتديه كل فئة، فأهل المدن المستقرون غالبا ما يلبسون ثيابا أنيقة وفاخرة على عكس أهل الوبر البدو والذين يميلون إلى لبس ثياب خشنة وبسيطة[1] .

أ – **اللباس** : يعتبر موضوع الملابس أو الأزياء المغربية الإسلامية بنوعيها المدني والعسكري، من الموضوعات الأثرية الهامة في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي ، لأن الملابس عامة تشكل عنصراً تراثياً هاماً بين عناصر تراثنا المادي والفني .

ودراسة الملابس في بلاد المغرب الأوسط من ناحيتي الزمان المكان تمثل مصدراً أثرياً أصيلاً يميط اللثام عن جوانب إجتماعية وثقافية مفيدة نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر تطور الذوق الإجتماعي، والأصناف والميول الفردية وكذا الفروق الإجتماعية والمادية في المجتمع المغاربي، هذا فضلاً عن أن الملابس نفسها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعادات والتقاليد، خصوصاً أوقات المناسبات والأعياد والإحتفالات المختلفة، التي تحدد لنا طريقة ارتدائها وتنوع ألوانها واختلافها .

تعتبر الملابس الصوفية أكثر الملابس انتشارا بين السكان، حيث يعد لباساً عاماً شاع استعماله في بلاد المغرب الأوسط، وتجلى ذلك بأن ارتداه الزعماء والقادة والخلفاء والأمراء، ونضرب مثالا عن ذلك أن أبا يزيد مخلد بن كيداد [2] حين فجر ثورته في وجه الفاطميين الشيعة كان لباسه من الصوف، واستناداً إلى الإشارات المقتضبة التي وردت عنها في كتب المؤرخين والجغرافيين، مثلاً ما ذكره المقدسي" أن للبربر برانس سود أهل الرساتيق بأكسية و السوقة بمناديل"[3] .

وحسب المقدسي، فإن سكان هذه البلاد من البربر كانوا جميعاً يرتدون البرانس البيضاء والسوداء على حد سواء ، وكما هو معروف البرنس لباسٌ صوفي كان يستعمل في فصل الشتاء للوقاية من البرد والمطر، كما استعمل في بعض المناطق في كل الفصول أو على مدار السنة ، كما استعمل أهل المغرب البرنس، وهو لباس يتخذ عادة من الصوف، والبرنس كما عرفه ابن سيدة هو كل ثوب رأسه منه متصل به سواء أكان دراعة أم ممطراً أو جبة[4] .

---

[1]– مجهول، المصدر السابق، ص117 .

[2]– انظر: الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، **سير أعلام النبلاء**، ج15، مؤسسة الرسالة، 2001 ، ص 152 .

[3]– المقدسي، المصدر السابق، ص23 .

[4]– ابن السيدة (أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي)، **المخصص**، ج04، دار الكتب العلمية، لبنان، ص81 .

وعليه أصبح البرنس ولبسه من الأمور التي تحرص عليها كل طوائف المجتمع المغربي، يستوي في ذلك الرجل العادي والجندي والفقيه والعالم والسلطان، ولكن بدرجات متباينة يراعى فيها اللون والشكل والمادة، وهو ما أشار إليه القلقشندي في كلامه عن البرنس " . . . لِبسُ السلطان بالمغرب ، خصوصاً يوم الاحتفال أو يوم التمييز وهو يوم عرضهم الجند على السلطان ، ويختص السلطان بلبس البرنس الأبيض الرفيع لا يلبسه ذو سيف غيره . . . "، أما الفقهاء فقد لبسوا البرنس الأبيض شأنهم في هذا شأن السلطان، على حين كان " . . . ا لعلماء وأهل الصلاح لا حرج عليهم في ذلك، ولا حرج في غير الملون مثل الأبيض من البرانس . . . "[1]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن البرنس سواء كان مصنوعاً من الصوف أو الوبر، يعتبر من أهم الأزياء المحلية في بلاد المغرب الإسلامي .

وكان لِبسُ القلانس منتشراً بين سكان المغرب الأوسط وهذا ما جاء على وصف المقدسي لسكان المغرب بقوله" . . . أنهم أصحاب قلانس مصبغة . . . " [2]، وعرفها ابن السيد في المخصص بقوله: والقلنسوة ما يُلاث على الرأس تكويراً[3].

وقد فرضت الطبيعة القاسية على سكان الصحراء لبس اللثام على الأنف و الفم وذلك إتقاءاً للعواصف الهوجاء المحملة بالرمال أو لحرارة الشمس اللافحة، حيث أورد ابن حوقل في هذا الصدد بقوله : " . . . ولم يُر لأحدهم ولا لصنهاجة من كانت من وجوههم غير عيونهم وذلك أنهم يتلثمون وهم أطفال وينشأون على ذلك . . . "[4] .

أما عن لباس النساء، فقد ذكرت المصادر عن ذكر ما كانت ترتديه المرأة من لباس وأزياء حيث لبست المرأة " المربعة " وهي حركة لطيفة تتخذ في العادة من الصوف الناعم تنشر على الرأس كالعمامة[5]، وكان هذا اللباس مشتركا بين الرجال و النساء وهذا ما أورده المالكي بقوله : " . . . كان يُجعل على رأسه مربعة وزوجته . . . "[6]، و يقصد المالكي هنا بأن هذا اللباس كان مشتركا بين الرجال النساء على حدٍ سواء .

---

[1]- القلقشندي، المصدر السابق، ج05، ص 204 .

[2]- المقدسي ، المصدر السابق، ص 23 .

[3]- ابن السيدة، المصدر السابق، ج 04، ص 81 .

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98 .

[5]- عن العمامة: انظر، ابن السيدة، **المخصص**، ج 04، ص 81 .

[6]- المالكي، المصدر السابق، ص 399 .

وكذلك لبس النقاب بين النساء كان شائعا، خاصة عند خروجهن للتسوق أو لقضاء بعض شؤونهن خارج المترل إذ أورد البكري بهذا الشأن " . . . نسائهن لا يُرين في ذلك عليهن حرجاً إذ سترت إحداهن وجهها و لم يعلم من هي . . . "[1].

ولبست النساء أيضا المعجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها أو عمامة على الرأس من غير إدارة تحت الحنك[2]، وكانت لبس الملحفة شائعا بين النساء حيث ذكر الونشريسي في المعيار المغرب كانت المرأة تلبس " . . . الملاحف ومليح الأكسية . . . "[3] .

ولبست المرأة الكدون : وهو عباءة أو قطيفة تلقي بها المرأة على ظهر بعيرها خاصة عند السفر[4]، ومن الألبسة المستعملة حسبما نقلته الحكايات التاريخية والجغرافية، تلك الملابس المصنوعة من الحرير الأسود، والحرير ذي اللون الأصفر والبنفسجي الغامق، وكذلك البردة المصنوعة من الصوف، وكذلك العمامة التي تلتف حول الرأس[5] .

ب – الطعام : ازدانت موائد سكان المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري، بأنواع المأكولات وأطباقها وما الصعوبة بما كان تحديد أنواع الطعام المتداول آنذاك بين سكان وأهالي المغرب الأوسط، حيث كانت المنتوجات الزراعية والحيوانية تحضر بكيفيات متعددة وأوجه مختلفة ومنه تُنتج أكلات متنوعة ومختلفة ولا ريب بأن المأكولات التي كان يتعاطاها سكان المغرب الأوسط، كانت تستمد عادة من المنتجات الحيوانية والغلات الزراعية التي تجود بها أرضهم .

وأمام وفرة وتنوع الثروات الحيوانية من أبقار وأغنام وإبل فقد أضحت اللحوم مادة أساسية في مأكولاتهم، وكان اللحم يشكل الطعام الأساسي لأغلبية السكان وهذا لما تتوفر عليه البلاد من موارد حيوانية كبيرة إذ بهـــا مخزون هام من الماشية و الأبقار، وهذا ما ذكـــره ابن حوقل بقوله : " ولهم الخيل النفيسة . . . والإبل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص "[6].

---

[1]– البكري، المصدر السابق، ص 18 .

[2]- عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص 332 .

[3]– الونشريسي، المصدر السابق، ج 02، ص 499 .

[4]- ابن السيدة، المصدر السابق، **المخصص**، ج 04، ص 34 .

[5] -Golvin op.cit,p 169.

[6]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 95 .

كما انتشرت بينهم دون شك عادة تخزين اللحم عن طريق إضافة الملح وتجفيفها ، وتسمي "القديد "وتستخدم خاصة مع المرق ، ويطلق على هذه الأكلة مرق القديد[1] ، ومن بين الأكلات التي كانت شائعة في بلاد المغرب الأوسط نذكر :

- **البسيسة** : وتصنع من الدقيق المقلي ويُضاف إليها الزيت والماء وكثيراً ما كان يُقلى الشعير و القمح و الفول .
- **الدشيش** : كان أكله شائعاً وهو نوع من حساء الشعير المدقوق يُفتت فيه الخبز ويُسمى بالمرق[2].
- **الثريد** : كان أكله شائعاًبين أوساط الأهالي والثريد هو الخبز المفتت في المرقة ويُثرد في الزيت أو بمرق الدجاج أو بلحم الخروف وأحياناً تتم عملية الثرد بلحوم الخراف والزيت ، أو يُثرد بالبن أو السمن أو الزبد[3] .
- **الهريسة** : هي عبارة عن عجين مركب من حبات قمح وقطع لحم مسحوقة بعد طبخها[4].
- **البيسار** : ويتمثل في فول يطبخ مع الزبدة والحليب .

الكواكبية : وهي سلق مع حمص .

- **الفستقية** : وهي تتكون من سلق و فول .
- **الإفريفية** : وهي دجاجة مطبوخة بزيت الزيتون[5] .

أما فيما يتعلق بأهم الأطباق التي كانت تحضر على موائد أهل المغرب " الحريرة " والحريرة حِساءٌ مِنْ دَقِيقٍ وَمَاءٍ وَ قَطانِيَّاتٍ أوْ خُضَـرٍ، أو دقـيق يطبخ بلبن[6]،وكـانت الحـريرة تشتـهر باسم " العصيدة "، وقد ساعد توفر القمح والحنطة والسمن و العسل بكثرة ببلاد المغرب الأوسط على

---

[1]– الونشريسي، المصدر السابق، ج 03، ص 307 .

[2]– الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية**، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ج02، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص 199 – 200 .

[3]– عبد الكريم يوسف جودت ، المرجع السابق، ص ص 322 – 324 .

[4]– الهادي روجر، المرجع السابق،ج 02، ص 203 .

[5]– الهادي روجر، المرجع نفسه، ج 02، ص 203 .

[6]– الرازي (الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، **مختار الصحاح**، د ط، إخراج دائرة المعاجم، طبعة مدققة، مكتبة لبنان، بيروت ، 1986 ص 55 .

تحضير أطباق متنوعة من هذه المحاصيل والمنتجات، والعصيدة هي عبارة عن ثريد من الخبز يطبخ مع السكر أو العسل[1].

وكانت عادة الناس إضافة شيء من البهارات إلى أطعمتهم حتى تكون ألذ وأشهى، حيث ذكر ابن حوقل : " . . . وكذلك العنب و الكرويا و العصفر . . . " [2]، وإلى جانب الطعام احتوت موائد المغرب الأوسط، على أصناف الفاكهة و الثمار اللذيذة، ونذكر على سبيل المثال : السفرجل العنب، التين[3]، ومن هنا نستنتج أن بلاد المغرب الأوسط كانت مشتهرة بأنواع العقاقير المختلفة، ومختلف الفواكه و الثمار التي كانت منتشرة بين أوساط الأهالي والسكان، ومن بين الحلويات التي كانت شائعة في بلاد المغرب الأوسط نذكر :

- **الغسانية** : وهي تصنع من السميد والعسل والزعفران، وكذلك الكعك والإسفنج الملبس بالعسل
- **الفالوذج** : وهو نوع من الحلويات المصنوعة من النشا، العسل و الماء[4].

وكان سكان المغرب الأوسط يتناولون أشربة عديدة، ومتنوعة منها: الألبان، العسل، وكذلك شرب النبيذ، الذي كان يستخرج من الحنطة و السعير والذرة أو من بعض الفواكه كالعنب التـــمر، ومن الأشربة التي كانت معروفة عندهم شراب الورد وهو نوع من شراب العسل أو الزبيب[5]، ومطبوخ العنب ومطبوخ الزيت ونبيذ العسل، ونقيع الزبيب[6] .

2 – العادات و التقاليد :

---

[1]– أحمد رضا، **قاموس رد العامي إلى الفصيح**، د ط، دار الرائد العربي، بيروت،1981، ص386.

[2]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 75 .

[3] – المصدر نفسه، ص 78 .

[4]– الهادي روجر، المرجع السابق، ج 02، ص ص 200–201 .

[5]– الهادي روجر، المصدر نفسه، ج 02، ص 201 .

[6]– حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا**، ج 20، د ط، مكتبة المنار، تونس، د ت، ص 186 – 284 .

ظلت العادات والتقاليد الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي متأصلة ، وليدة التاريخ الطويل والظروف الإقليمية العميقة ، وعادات المجتمعات مستمرة ولا تتغير إلا بعد عصورطويلة ومنه ظهرت عادات وتقاليد مختلفة نابغة عن مستوى المعيشة و الظروف المحيطة بهم ، ومن بين العادات التي كانت سائدة في بلاد المغرب الأوسط نذكر :

أ / العادات المحمودة :

● **الكرم** : لقد تمخض عن الحياة القاسية التي كانت تعيشها المجتمعات البدوية والريفية في قمم الجبال وأعماق الصحراء، بروز أعراف قبلية وقيم إنسانية تنسجم وشموخ وأنفة أهلها، وفي مقدمتها الكرم الذي أضحى من شيم البواسل الشجعان، حيث يعتبر الكرم أحد القيم النبيلة التي إهتم بها الإسلام وأمر بها، ولقد وُصف المجتمع المغاربي بكرم الضيافة، والإسراع إلى إقراء الضيف ونجدة الغريب، وعابر السبيل ويظهر اتصاف سكان المغرب الإسلامي بالكرم وحرصهم عليه من خلال عبارات ذكرها القاضي النعمان تختص بقبائل كتامة، فذكر : أن بعض حجاج كتامة الذين صحبهم الشيعي أبو عبد الله[1]، اشتروا له شاةً ، و هيؤوا له طعاماً، ثم أتوه به، فقال : " . . . ما هذا قالوا : هذا سنتنا في الضيف وأنت ضيف فينا . . . "[2].

وقد عمت هذه الظاهرة كامل بلاد المغرب سهوله وجباله حاضرته وريفه بتره وبرانسه وقد لاحظ ابن حوقل أن هذه الصفة الحميدة تكاد تكون خلقا يميز كـــل سكـــان المغرب الأوسط، فأورد في هذا الصدد :" . . . وأكثر بربر المغرب الذين من سجلماسة إلى السوس وأغمات و فاس إلى نواحي تاهرت، وإلى تنس والمسيلة وبسكرة وطبنة وباغاي إلى أكربال وأزفون ونواحي بونة إلى مدينة قسنطينة الهواء وكتامة، وميلة وسطيف يضيفون المارة ويطعمون الطعام . . . "[3].

وكانت هذه القيمة و الصفة الإنسانية أحد الأركان الأساسية التي يقوم عليها مجتمع المغرب الأوسط، خاصة وأن السكان وأهالي المغرب اتصفوا بهذه الصفة الحميدة وجعلوها شعاراً في حياتهم وعليه نجد أفراد المجتمع المغاربي قد دأبوا على الكرم التسابق فيما بينهم على فعله، ومنه فقد نال الضيف حقه في الإكرام و الإيثار .

---

[1]- انظر علي حسني الخربطلي، **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، د ط، 1972، ص 4، 5، 6 .

[2]- القاضي نعمان، **افتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص 35.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91.

وهكذا فقد احتل الكرم مكانة مرموقة بين الصفات الحميدة التي تحلى بها المغرب الأوســط، حتى صار يضرب به المثل كامل المغرب، وأضحت ملجأ كل ضال أومسلوب .

● **الجوار:** تؤكد بعض المصادرعلى وجود رابطة الجوار بين الأسر والأهالي في بلاد المغرب الأوسط، ولأن من حق الجار على جاره إكرامه وعدم التعرض إلى إيذائه سواء بالقول أو الفعل فكذلك من حسن الجوار أيضا حمايته ودرء العدوان عنه، ومثال ذلك : أنه حين أرسل صاحب ميلة إلى بني سكتان من كتامة يطلب إليهم تسليمه أبا عبد الله الشيعي قالوا : " . . . ما كنا بمن يسلمه ولا يخذله ولا ندع يـد أحدٍ تمــتد إليه وهو ضيفنا وبين أظهرنا . . . "[1].

ويحظى شيخ القبيلة في بلاد المغرب الإسلامي باحترام جميع الناس، وعليه يكون مدار شؤونهم في الحياة فسلطته أشبه بسلطة قاضي البلاد، فهو الذي يقضي في الخصومات بين الناس في إطار القبيلة لاسيما ما تعلق بمسائل :كالثأر، والحدود، أو ينظر في النزاعات التي تحدث بينهم حول الأراضي وقسمة المياه، كما يرجع إليه في مسائل الأحوال العائلية، مثل الزواج، والطلاق، وما إلى ذلك[2]، فقد ذكر ابن حوقل في هذا الصدد : " . . . وفيهم ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم، ويأمرونهم فلا يخالفون . . . "[3] .

و للإشارة فإن ظاهرة الإحتكام إلى الشيخ أو رئيس القبيلة ماتزال منتشرة إلى الآن في مناطق من المغرب، وخاصة في القرى و المداشر، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إستمرار العادات والتقاليد في الماضي والحاضر في بلاد المغرب الأوسط .

● **الشهامة و المروءة :** لقد ساقت المصادر أمثلة عديدة تدل على اتصاف أهل المغرب الإسلامي بخلق الشهامة والنبالة، منها ما أورد ابن حوقل حيث ذكر : " . . . ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لإيدانيهم أهل بلد، إذا وردت المراكب ميناءهم عرضت لهم الريح البحرية، فيشتد الموج لانكشافه ويصعب الإرساء فيبادر أهل البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين، فيقيد المركب ويرسى به في أسرع وقت بغير كلفة لأحد ولا غرامة حبة ولا جزاء مثقال . . . "[4].

---

[1]- القاضي نعمان، **إفتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص 54 .

[2]- رفيق بوراس، المرجع السابق، ص103.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص97 .

[4]- المصدر نفسه، ص72 .

وكانت صفات الشهامة والمروءة راسخة في أوساط سكان المغرب الأوسط، وعرفوا كذلك بشدة التمسك بالدين، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وكانت إذا إلتقي رجلان وكانا من الضيعة نفسها تصافحا وتعانقا وقبل كل واحد منهما يد صاحبه، لايأنف في ذلك شريفهم عن مشروفهم .

وإلى جانب ذلك كله، كانوا أصحاب بأس لما اشتهروا به من مقارعة الأهوال والصبر عند نزال الأعداء، بل كان أكثرهم فرسان يجيدون ركوب الخيلوحمل السلاح ويرون في ذلك فخرا وعزة، ونتبين ذلك من خلال جواب بعض رجال كتامة على السؤال الذي وجهه لهم الداعي أبو عبد الله حينما قال لهم : " . . . فعندكم الخيل والسلاح ؟ ، قالوا : " ... ذلك أكثر كسبنا، وبه نفتخر وإياه نقتدي لحاجتنا إليه . . . " [1].

● **العصبية** : تعتبر العصبية أصلاً من الأصول التي يقوم عليها المجتمع القبلي، وقانوناً من القوانين المتعارف عليها ، وهي تتولد من التلاحم بالعصب والإلتصاق بالدم والتكاثر بالنسل ووفرة العدد، والتفاخر بالغلبة والقوة والتطاول، تربط بينهم روابط مشتركة لغوية ودينية وإقتصادية وإجتماعية تزيد من تلاحمهم، وتستند كذلك من القرابة التي تؤدي إلى وحـــدة الإنتساب، سواءاً بالحلف والولاء وتساهم المصاهرة دورها في ظهور العصبية ودعمها .

واتسم البناء القبلي في بلاد المغرب الأوسط، ببساطته وعدم تعقيده، و يأخذ شكلا هرميا في تشكيله حيث شكلت القبيلة أعلى وحداته الإجتماعية، وقاعدته تتسع وتتقلص من قبيلة لأخرى ويتدرج من البطون إلى الأفخاذ فالعشائر، وتمثل الأسرة أصغر وحدة فيه، وهكذا فقد شكلت القبيلة بالمغرب الأوسط تكتلا إجتماعيا أخذ أبعادا إقتصادية وسياسية وثقافية دعمت كيانه ووطدت أركانه ونظمت العلاقات بين أفراده على المستوى الداخلي ومع القبائل المجاورة على المستوى الخارجي، حتى أضحت أساسا لمعظم التغيرات الطارئة على المجتمع المغربي في العصر الوسيط[2].

---

[1]– القاضي نعمان، **إفتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص38-123.

[2]– رضا بن النية، **صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80 هـ – 699 م/362 هـ – 973م)** ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (مرقونة) إشراف الأستاذة، بوبة مجاني، كلية العوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، ص ص 22 – 23 .

فقد كان يحدث الغزو بين أفراد القبيلة الواحدة، إذ اختلفت عصبيتهم بدليل أنه حين انقسم بنو سكتان على أنفسهم بين مؤيد لأبي عبد الله الشيعي، ومعارض له، حيث سار هؤلاء في جمع عظيم فلما رأوهم بنو سكتان ثاروا عليهم وركبوا خيلهم أخرجوا رحلهم وعدتهم وتلقوهم[1].

ويرى بعض الباحثين أن تلك السمات قد وجدت هوى في نفوس المغاربة الذين يميلون إلى التشدد، والتمسك بما يعتقدون به، ونضرب مثالاً عن ذلك، أن بعض المغاربة في تقصيهم لمذهبهم المحبب فمن كان مالكياً قبلوه، ومن كان غير ذلك حاربوه دون هوادة[2] .

وفي الأخير نخلص إلى أن العصبية القبلية، بالمغرب الإسلامي شكلت الأساس الإجتماعي والإقتصادي، والسياسي للمجتمع المغربي،كونها الخزان البشري الذي تقوم عليه هذه التنظيمات وقد أدى تباين البيئة الجغرافية بين الشـمال والجنوب إلى إختلاف نمط المـعيشة من قبيلة لأخرى، تمخض عنه نشوب صراع بينها للسيطرة على الموارد الإقتصادية والطرق التجارية وزادت من حدته الصراعات المذهبية والسياسية .

ب/ المذمومة : إن مجتمع المغرب الأوسط مثل غيره المجتمعات ، لا يخلو من الآفات الاجتماعية حيث يقول ابن حوقل : " . . . ويتخلق قوم منهم بخلق ذميم . . . " [3]تفشت فيه مختلف العادات السلبية والسيئة والتي نذكر منها :

●**السرقة** : عرف المجتمع المغاربي ظاهرة السرقة فقد لجأ بعض أهل البطالة تحت تأثير أوضاع اجتماعية مزرية، إلى تأليف عصابات لإعتراض أصحاب الأموال من التجار وغيرهم، ومما جاء في هذا الصدد : " . . . إنه في سنة (305 ه / 917 م) ، اعترض بعض اللصوص طريق الفقيه أبي العباس بن إبراهيم الأزدي الصائغ فأخذوا ماله ، ثم قتلوه . . ."[4] .

وانتشرت في المجتمع حانات للهو و المجون ، كان يكثر فيها الفساد، وتناول الخمور، ويبدو، أن هذه الظواهر، أصبحت أكثر انتشارا على عهد أبي عبد الله الشيعي، إلى درجة جعلت أبي عبد الله الشيعي إصدار أمر، بقتل كل من خرج ليلا أو شرب مسكرا، أو حمله، أو وجد عنده[5].

---

[1]– القاضي نعمان، **إفتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص 93 .

[2]– حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس**، د ط ، مكتبة الخانجي، مصر، د ت، ص463 .

[3] –ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91 .

[4]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج 01، ص 115.

[5]– المصدر نفسه، نفس الصفحة .

ثالثـــا : المرأة في المجتمع المغاربي

ظلت الدراسات المتعقلة بالمسألة النسوية و الدور المنوط بالمرأة في المجتمع من المواضيع الحساسة التي أثارت جدلا كبيرا بين الباحثين على مختلف مناهلهم، إلا أنها لم تحظ بالعناية الكافية في العصر الوسيط،إذ، لم تتم الإشارة إليها إلا بصورة عابرة أو في ظل دراسة عامة لا تسمح بالوقوف على الدور الحقيقي الذي اضطلعت به المرأة في المجتمع المغاربي آنذاك.

ولئن أعطى الإسلام المرأة كامل حقوقها وحررها من الوأد والإستعباد وشتى عادات الجاهلية، التي تستصغرها وتهين كرامتها، إلا أن مكانتها ارتبطت نتيجة للتطور السياسي والإجتماعي الذي عرفه المغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري .

1 – مكانتها :

احتلت المرأة مكانة محترمة في مجتمع المغرب الإسلامي، سواء في البادية أم في المدينة، وساهمت إلى جانب الرجل في تحمل أعباء الحياة، والتي قد تقسو عليها في بعض الأحيان، إذ لم تمنعها وظيفتها الأساسية كربة بيت في الأسرة، من ورود الأسواق، والمشاركة في حركة البيع والشراء، كلما اقتضت الضرورة لذلك .

لم تظل المرأة عالة على المجتمع وخادمة للرجل في منزله فحسب، بل كانت تساهم بدورها في عملية الإنتاج وذلك بما تقوم به من أعمال يدوية، كالغزل والنسيج والأعمال الفلاحية، حيث ذكر الدرجيني في الطبقات" أن امرأة نفوسية وُجدت في الحرث مع زوجها، وهي تنقل التراب على رأسها لإصلاح الجسور" [1]، إلى جانب ذلك كانت المرأة في البناء وإصلاح الجدران إذ ورد في بعض المصادر أن إمرأة كانت تكور الطين بيدها وتناوله إياه يُلمِس به الحائط[2].

وم شاركة المرأة في العملية الإنتاجية فعالة وتجلى ذلك من خلال القيام بأعمال يدوية، ويظهر ذلك من خلال تفننها في صناعة الأواني الفخارية والطينية المزخرفة[3]، التي مازالت إحدى الخصائص المميزة لبلاد المغرب الأوسط إلى يومنا هذا.

وذكر المالكي في كتابه رياض النفوس عن أحد الفقهاء كان يعيش من كد زوجته التي كانت تشتري الكتان من السوق فتغزله وتنسجه على هيئة ثياب ثم تبيعها، فما كان فيها من فضل تقوتا به[1].

---

[1]– الدرجيني(الشيخ أبي أحمد بن سعيد)، **طبقات المشائخ بالمغرب**، ج 01، تحقيق : إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ص 65 .

[2]– المالكي، المصدر السابق، ج ، ص 398 .

[3] – Golvin, op.cit,p:2.

و نستنتج من هذه الرواية، أن الرجل كان لا يرى بأسا من أن تخرج المرأة إلى السوق فتبتاع وتشتري ما أرادت، طالما أن ذلك لا يخرج عن الآداب العامة وما تعارف عليه الناس .

واهتمت المرأة بمجال العلم والمعرفة والأدب، فكانت نساء كتامة يشهدن ويسمعن الحكمة عند أبي عبد الله الشيعي، ومن جهة أخرى كان للمرأة دور إنساني واجتماعي، ومما ورد في هذا الشأن أن امرأة من أتباع أبي عبد الله الشيعي" كان لها مال فأنفقته في الجهاد، وكانت تصنع بيدها الطعام للمجاهدين وضعفاء المؤمنين، حتى أن يديها كانتا تدميان من الطحن، وعلاج الطعام لهم" وأشار القاضي النعمان أن النساء كن كذلك يخدمن، ويعالجن المرضى[2].

2- المرأة و الزواج:

لقد اعتبر الإسلام دوما أن" الزواج " أساس العلاقة بين الرجل والمرأة، وأن كل علاقة سواه هي علاقة محرم تستوجب العقاب، فقال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿ وَالَّذِيْنَ هُمْ لِفُرُوْجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلى أَزوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ العَادُونَ ﴾[3].

ولا تكاد عادات الزواج في بلاد المغرب الإسلامي في ذلك الوقت تختلف عما هي عليه الآن ، إذ كانت الأعراف تقتضي أن يختار الشاب شريكة حياته كخطوة لابد منها في بناء حياته الزوجية .

وكان الشاب يراعي عند اختيار زوجته، أن تكون بمستواه الإجتماعي والإقتصادي فيطلبها على قدر ذات يده في مؤونتها وقناعتها حتى يبقى في يدها ما تستغني به، وإذا تم الإتفاق حدد يوم لإجراء عقد القران يحضره عدد من المدعوين، ويقوم أصحاب الوثائق بكتابة عقد النكاح ، ويسجل فيه شرط كل من الخاطبين ثم يشهد على ذلك الشهود[4] .

والأمر يختلف في القرى و الأرياف و القبائل الظاعنة حيث يكتفون بقراءة الفاتحة مع الشهود وهذا ما رواه البكري بقوله : " . . . ذكروا أن شيخاً خرج مع امرأته وكانت شابة يريد قلعة بني حماد فصحبه في بعض الطريق فتى شاب كلف بتلك المرأة وكلفت به ، فتواطيا على أن يدّعي كل واحدٍ منهما زوجية الآخر ، ويسقطا الشيخ فلما وصل إلى القلعة شكى الشيخ إلى حماد

---

[1]- المالكي، المصدر نفسه، ص 50 .

[2]- القاضي النعمان، **إفتتاح الدعوة**، المصدر السابق، ص ص 132- 133 .

[3]- القرآن الكريم، **سورة المؤمنون**، الآيات 5- 6- 7 .

[4]- عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص ص 315- 316 .

ما دهمه من أمرهما... أنكرا ما يدعيه الشيخ... "[1]، ومنه نستنتج أنه لم يكن عقد نكاح موثق بالوثائق المثبوتة التي توحي بصدق النكاح ، وهذا يستدل به على ماكان واقعا ببلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي .

كان صداق المرأة غير محدد كما أشار إلى ذلك الشرع و السّنة النبوية الشريفة، ومهما يكن فإن الأصل الشرعي في الزواج هو" الصداق " الذي يدفعه الرجل للـمرأة لحل الاستمتاع بها، مصداقا لقوله تعالى في سورة " النساء" وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝ "[2]، وقد جاء في حديث النبي علية الصلاة و السلام : "حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال، جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك من نفسي فقال رجل زوجنيها قال قدر نكاحها بما معك من القرآن "[3]، وكل هذا يرتبط بقدرة الزوج ورضا الطرفين فإنه جرى العرف في كامل بلاد المغرب أن يقسم المهر أو الصداق إلى جزئين يعرفان بالنقد والمهر، وتستلم الخطيبة الشطر الأول قبل الزواج وتنفقه في شراء الأشياء ولوازم العرس ودفع نفقات العرس من : الحناء والصباغ، الحلي والملابس[4] .

ومن المرجح أن الصّداق كان يقدم عينا بسبب عدم وفرة النقود، ولا ريب أنه كان يراعى في ذلك أن يقدم في شكل لوازم التي تحتاج إليها الخطيبة في تجهيز نفسها كالصوف والكتان والحلي، وكان أهل الفتاة يجتهدون في إعداد جهاز العـــروس، والذي يشـــمل كالـــعادة اللباس و مختلف أدوات الزينة، وبعض المتاع المنزلي ويكون ذلك قبيل زفها إلى بيت زوجها، وجرت العادة أن يتقدم أهل العروس بمبلغ زهيد من قبيل التضامن مع أهل الفتاة [5] .

وبعد استكمال الإستعداد للزواج تقام وليمة العرس لإعلان القران، ويُدعى فيها أهل العروسين وتنحر على شرفهما الذبائح من الأغنام والأبقار و التي تتوفر بكثرة في بلاد المغرب الأوسط وغالبا ما يتحمل العريس نفقات العرس[6] .

---

[1]- البكري ، المصدر السابق، ص 184.

[2]- **سورة النساء**، الآية، 04 .

[3]- صحيح البخاري ، **باب النكاح**، الحديث رقم : 2187 .

[4]- الونشريسي، المصدر السابق، ج 03، ص 122- 209 .

[5]- المالكي، المصدر السابق،ج 02، ص 121- 251 .

[6]- المالكي، المصدر نفسه، ج 02، ص 168 .

خاتمـــــــــــة

خاتمـــــــــة :

بعد دراسة الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في بلاد المغرب الأوسط بالإعتماد على كتب الرّحلة، يتبين لنا أن الرّحالة والجغرافيين كان لهم الدّور الكبير في توضيح الكثير من نقاط الظِّل، فمن خلال العودة لكتبهم تتضح ملامح البنية الإقتصادية لبلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري، من خلال الإمكانيات المتنوعة التي شكّلت دع ـــائم قـــوية للقطاعات المنتجة، والتي شملت الزراعة والصناعة وسائر الأنشطة التجارية الأخرى، وكشفت هذه الإمكانيات عن حيوية الموقع، و وفرة مصادر المياه، وجودة التربة، وتنوع المناخ، و بعض النّظم المحكمـــة المتعلقـــة بكيفيـــة إستغلال الأرض الزراعية وطريقة سقيها وفق ما تقتضية الشريعـــة وما تمليه عادات وتقاليد المجتمع المغاربي .

إلى جانب التّنظيم الجيّد لظاهرة الرعي وتربية الماشية كمصدرٍ من مصادرة ال ثروة،كما شهد القطاع الصناعي ازدهارًا كبيرًا، بسبب الاهتمام المتزايد من قبل الحكام، ووفرة وتنوع المواد الخّام، وما اكتسبه الصنّاع من خبرات إضافية وذلك بفـــضل الهجرة الأندّلسية إلى م ـــدن المغرب، حيث كان ذلك عاملاً مشجّعًا على وفرة الانتاج وتنوعّه، وشكّل قاعدة جديدة لبداية ترويجه وتسويقه .

ونظرًا لخصّوصية الأوضاع السياسية والأمنية التي سادت بلاد المغرب، فقد حرصت السلطة الحاكمة على توفير الأمن والاستقرار، وتأمين طرق النقل والمواصلات والضرب على أيدي كلّ من تسّول له نفسه الاعتداء على الأموال والقوافل، من القبائل المعارضة للسّلطة وقطّاع الطرق، فاستحدثوا تنظيمات جديدة من خلال فتح المجـــال لإقامة علاقات تجارية متنوعة بين الشمال والجنوب وداخل مدن بلاد المغرب .

وإلى جانب العناية الخاصّة بالتجارة الخارج يّة فقد توفرت للنّشاط التّجاري الأسواق الداخليـــة، التي حضيت بعناية خاصّة من قبل السكان والسلطة الحاكمة، وذلك بتنظيمها وحسن إدارتها .

و ينتهي بنا القول في الميدان الإقتصادي، إلى أن بلاد المغرب الأوسط قد شهدت رخاء إقتصاديا، أدى إلى إفراز الطبقية في المجتمع، فبرز نمطين من حيث المـــستوى الإجتماعي والإقتصادي، فظهرت فئة تعيش حياة الترف والبذخ بحيث تمتلك الأموال والقصور والثروات كالطبقة الحاكمة وطبقة الجند وطبقة التجار، وطبقة أخرى محرومة سُخرت لخدمة الفئة الأولى كطبقة العبيد وطبقة العامة .

كما إتضح أن التفاوت الطبقي بين فئات المجتمع، انعكس حتى في أحوال الأكل والملبس وأما عن عادات وتقاليد مجتمع بلاد المغرب الأوسط، فقد اتسمت بالكرم والشهامة والمروءة وحسن الجوار، وهذه العادات نابعة من الشريعة، الإسلامية كما اتسمت في بعض الأحيان بصفات مذمومة كاللهو والسرقة وشرب الخمر .

وتمتعت المرأة بمكانة محترمة في مجتمع المغرب الأوسط سواء في البادية أوفي المدينة، وساهمت إلى جانب الرجل في تحمل أعباء الحياة ، كما اهتمت المرأة بمجال الأدب والعلم والمعرفة .

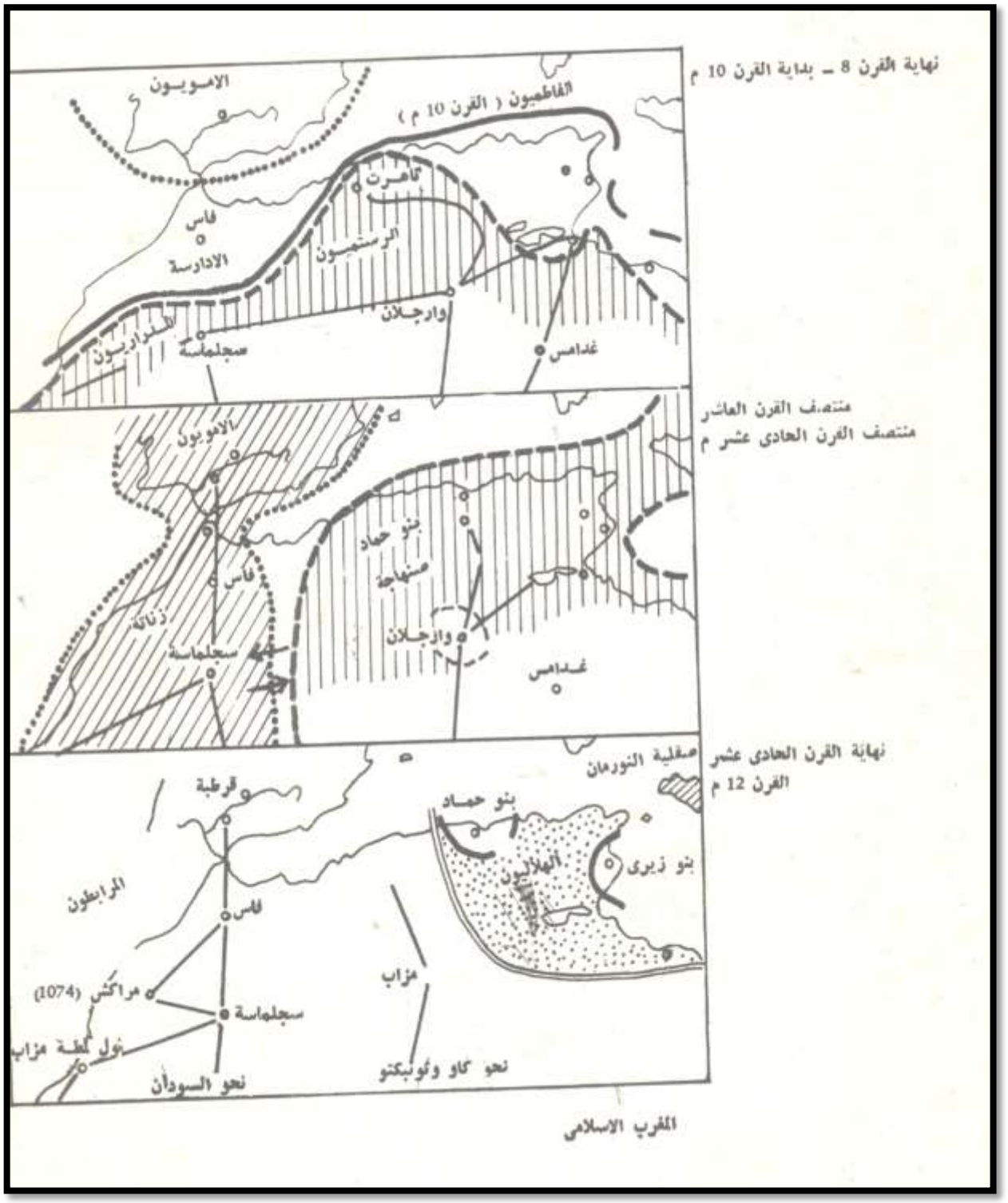
وفي الأخير يمكن القول أن كتب الرّحلة من بين المصادر الهامّة، التي يتم الإعتماد عليها في تحديد الأوضاع على إختلافها سواءً (السياسية أو الإقتصادية أو الإجتماعية أو الثقافية ...)، لكل منطقة مرّ بها الرّحالة، خاصة إذا كانوا من العلماء والمفكرين .

كما أن الرّحالة قد أوردُوا معلومات غزيرة خاصة فيما يتعلق بالجانب الإقتصادي، إلا أنها على عكس ذلك في الجانب الإجتماعي، فهي تعتبر معلومات شحيحة مقارنة بالجانب الأول، ويعود سبب ذلك في نظرنا للأوضاع السياسية السائدة آنذاك .

الملاحـــــــــــــــــــــــــــق

الملحق رقم : (01)

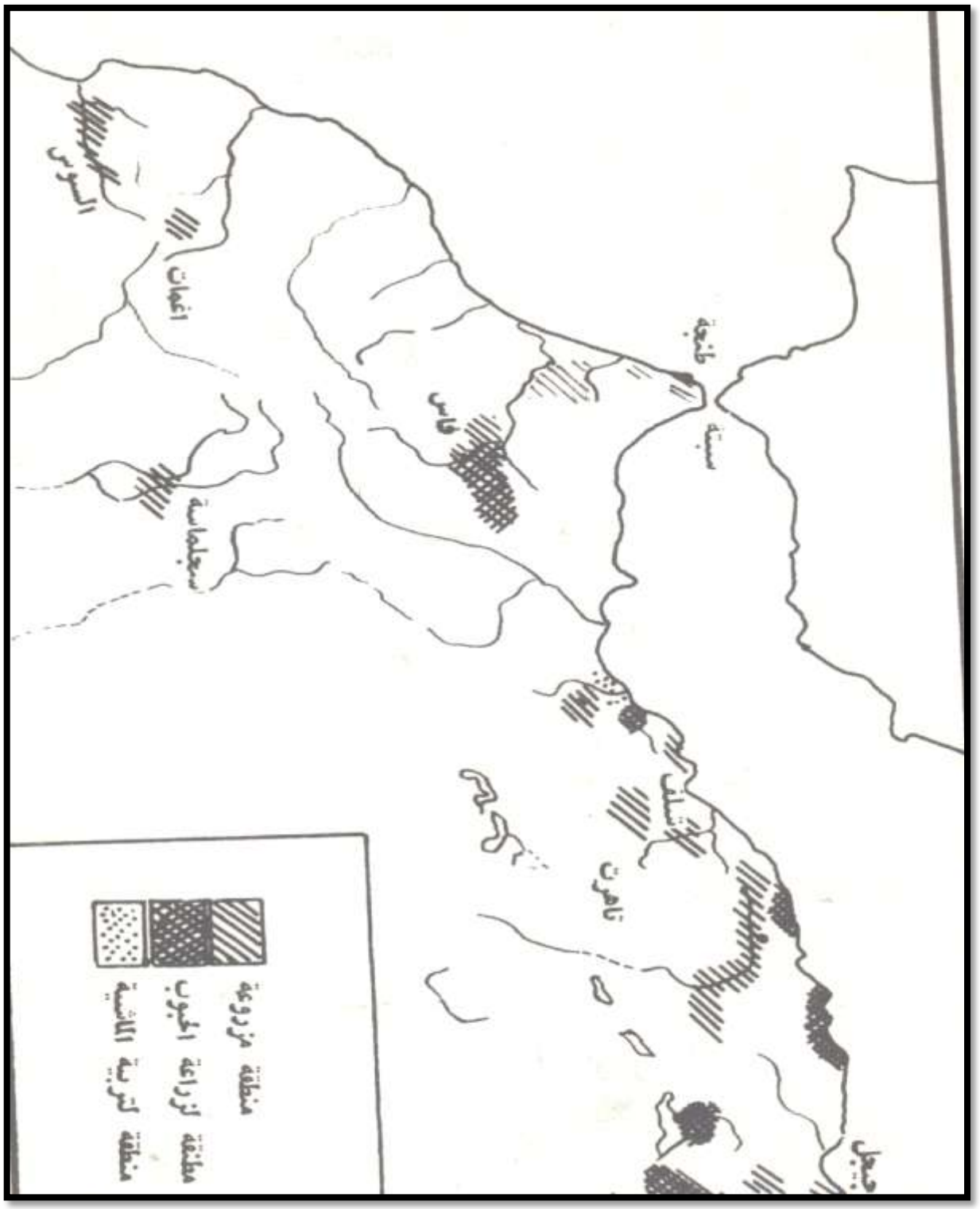
المغرب الإسلامي[1]



1- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 228 .

الملحق رقم : (02)

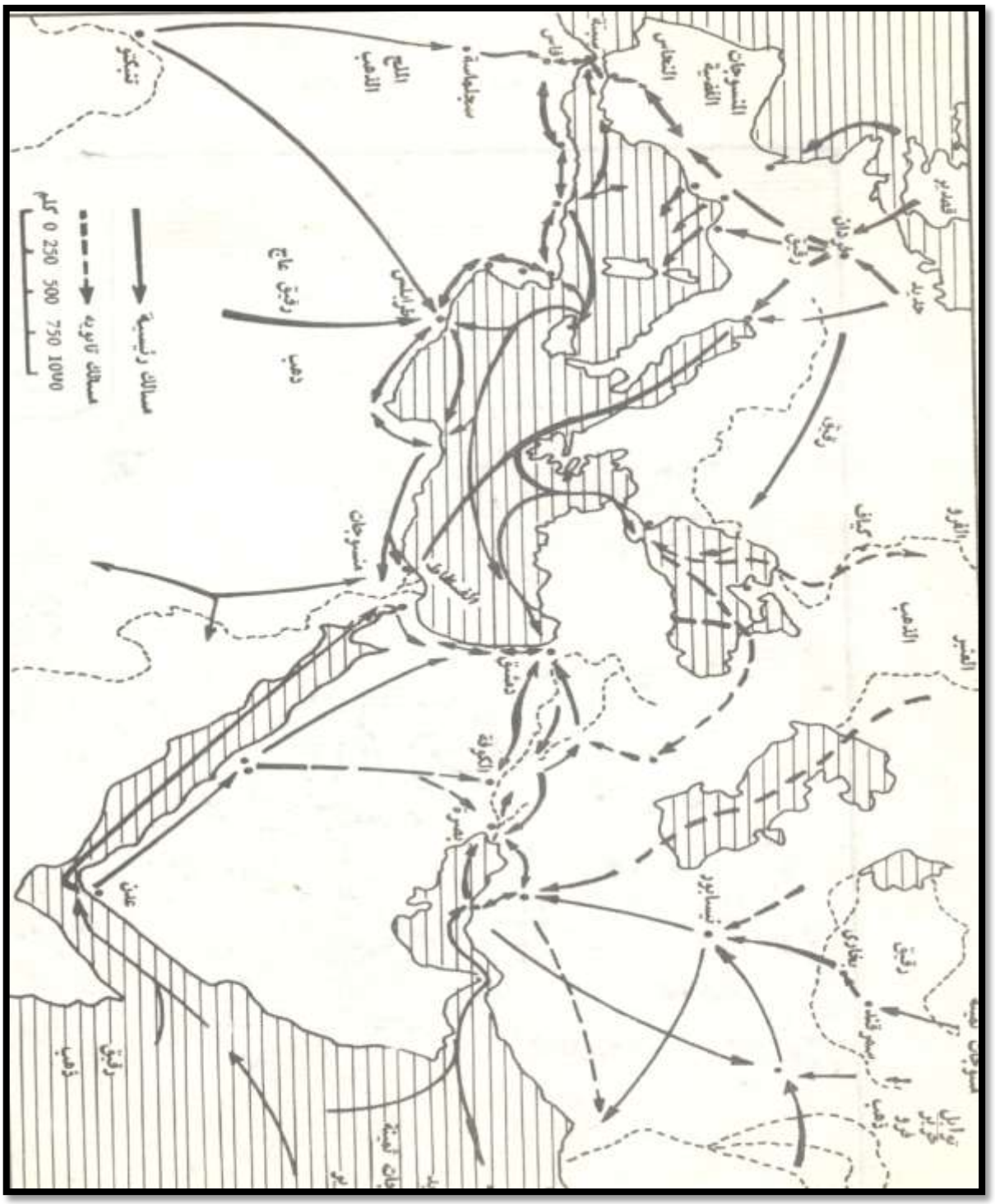
الفلاحة في القرنين التاسع والعاشرميلادي [1]



1- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 237 .

الملحق رقم : (03)

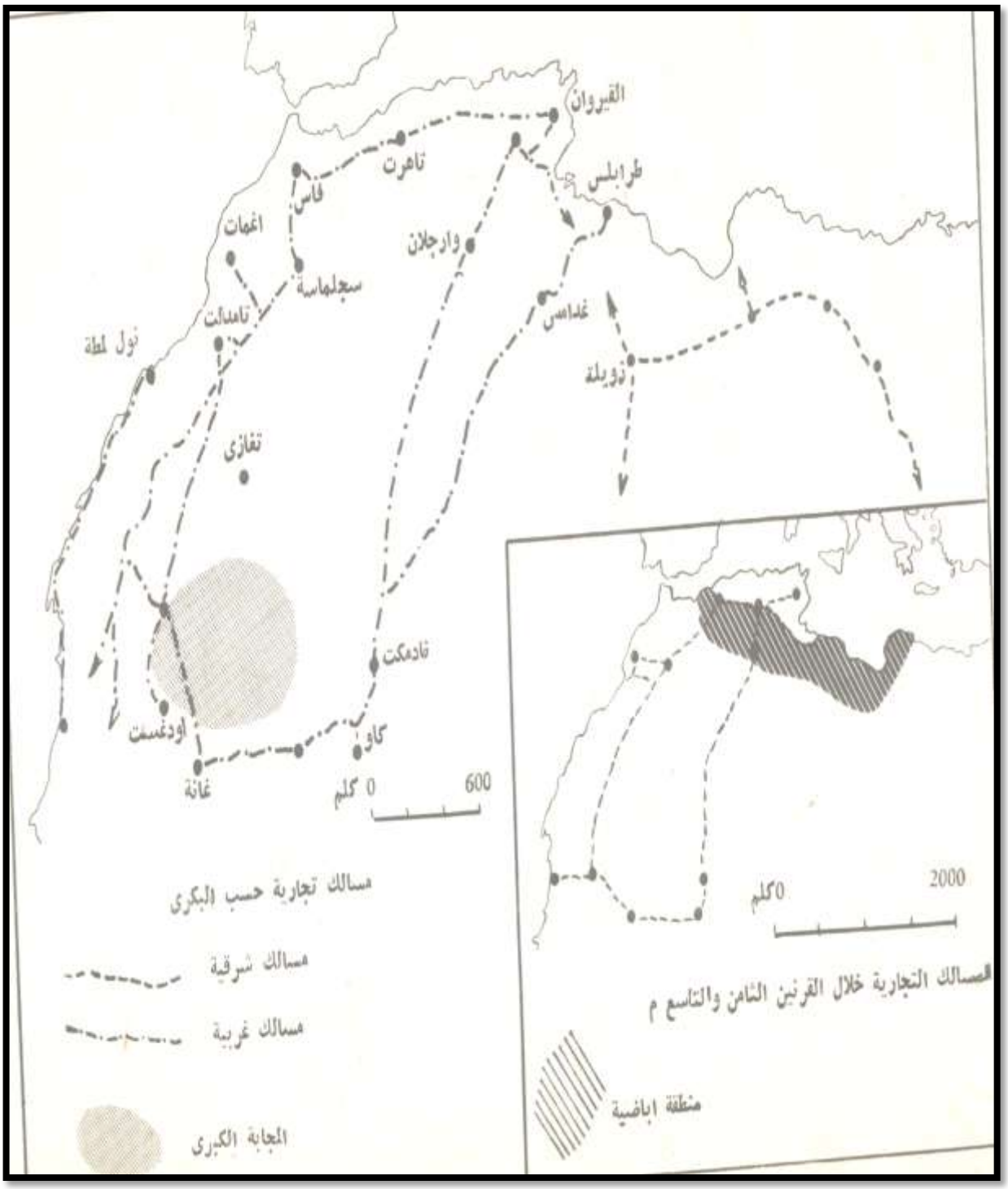
المسالك التجارية من القرن 08 الى القرن 11م[1]



1- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 221 .

الملحق رقم : (04)

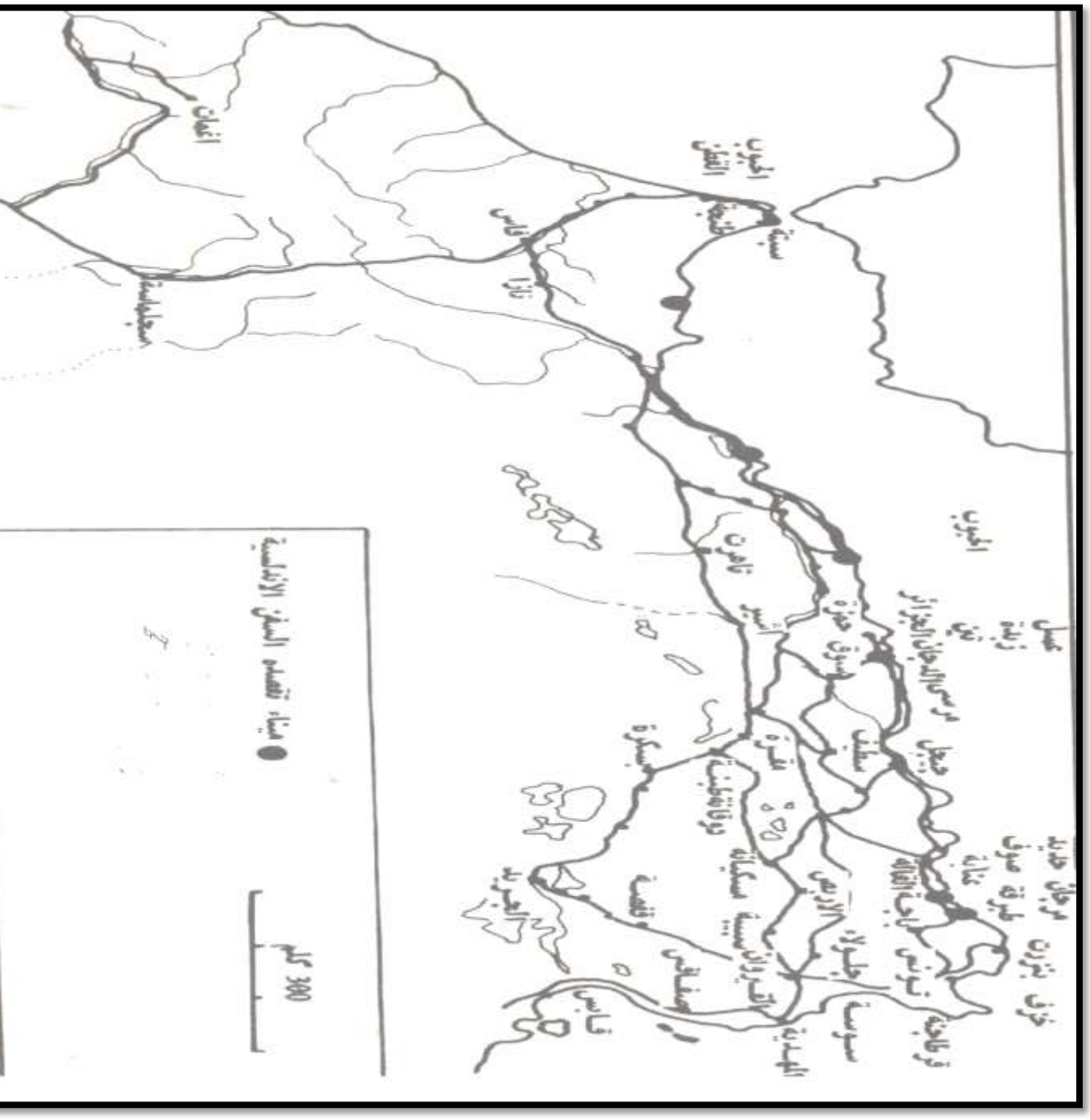
مسالك تجارية حسب البكري : مسالك شرقية ، مسالك غربية [1]



1- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 231

الملحق رقم :(05)

المسالك والموانئ في القرنين التاسع والعاشر الميلادي[1].



1- الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 234 .

البيبليوغـــــــــرافيا

- **القرآن الكـــــــريم**
- **السنة النبـــــــــوية**
- **المصادر والمراجع :**

أ /المصـــــــادر:

1. الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني)، **صـــفة المغرب و أرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن المحروسة ، 1883 .
2. ..... **كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** ، مج 01 ،د ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002.
3. الأصطخري (أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) ، **المسالك و الممالك** ، د ط ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن المحروسة ، د ت .
4. ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله) ، **رحلة ابن بطوطة المسمّاة " تحفة النظّار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار "** ، تح : عبد الهادي النازي ، مج 01 د ط ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 1997 .
5. البكري (أبي عبيد الله) ، **المُغرب في ذكر بلا إفريقية و المغرب وهو جزء من كتب المسالك و الممالك** ، دط ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، دت .
6. ابن حماد (ابو عبد الله ابن علي الصنهاجي ت: 628ه/1230م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، دط، مطبعة جول كاربونيل، الجزائر، 1935.
7. الحموي ياقوت (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله) ، **معجم البلدان** ، مج 02 ، د ط ، دار صادر ، بيروت ، 1977 .
8. ابن حوقل (أبي القاسم ابن حوقل النصيبي) ، **صورة الأرض** ، د ط ، دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، بيروت ، 1992 .
9. ابن خلدون عبد الرحمان ، **تاريخ ابن خلدون المسمى : ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، تح : خليل شحادة ، ج 05 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، لبنان ، 2002 .

10. ابن خلدون عبد الرحمان ، **مقدمة ابن خلدون** ، تح : خليل شحادة ، دط ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، 2001 .
11. يحي أبو زكريا (ابن أبي بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون) ، **كتاب بغية الرواد في ذر الملوك من عبد الواد** ، مج 01 ، د ط ، مطبعة بيير فونطانا الشرقية ، الجزائر ، 1904 .
12. الدرجيني (الشيخ أحمد بن أبي سعيد) ، **كتاب طبقات المشائخ بالمغرب** ، تح : إبراهيم طلاي ، ج 01 ، د ط ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، د ت .
13. الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان) ، **سير أعلام النبلاء** ، د ط ، ج 15 ، مؤسسة الرسالة ، 2001 .
14. الرازي (الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) ، **مختار الصحاح** ، د ط ، إخراج دائرة المعاجم ، مكتبة لبنان ، 1986 .
15. ابن أبي زرع (أبي الحسن علي ابن عبد الله) ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك و تاريخ مدينة فاس** ، د ط ، صور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972 .
16. الزهري (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر) ، **كتاب الجغرافية** ، تح : محمد الحاج صادق ، د ط ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر ، بور سعيد ، مصر ، د ت .
17. ابن سعيد ، **كتاب لجغرافيا** ، تح : إسماعيل العربي ، ط 02 ، ديوان المطبوعان الجامعية ، الجزائر 1982 .
18. ابن السيدة (أبي الحسن علي ابن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي) ، **المخصص**،ج04 ، د ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت .
19. ابن عذارى المراكشي ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** ، تحقيق و مراجعة ج 01 . س كولان و ليفي برفنسال ، ج 01 ، ط 03 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 .
20. أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد) ، **تقويم البلدن** ، نشره : رينودو البارون دسلان ، د ط ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840 .
21. القلشندي(الشيخ أبي العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد)، **صبح الأعشى**،ج 05، د ط ، دار الكتب الخديوية ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1915 .

22. المالكي (أبي بكر عبد الله بن محمد) ، **رياض النفوس و طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم** ، تح : بشير بكوش ، ج 02 ، ط 02 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1994 .

23. الماوردي (أبي الحسن بن محمد) ، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية** ، تح : سمير مصطفى ، د ط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2001 .

24. مجهول ، **كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار** ، تح : سعد زغلول عبد الحميد،د ط دار الشروق للثقافة العامة – آفاق عربية ، العراق ، د ت .

25. المقدسي ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ط 03 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991 .

26. المليتي (أبي عبد الله بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المديوني التلمساني) **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، د ط ، راجعه محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908 .

27. ابن منظور ، **لسان العرب** ، تح : عبد الله علي الكبير و أخرون ، مج 03 ، ج 18 د ط ، دائرة المعارف ، القاهرة ، د ت .

28. النعمان القاضي ، **افتتاح الدعوة** ، تح : فرحات الدشراوي ، د ط ، الشركة التونسية للتوزيع ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ت .

29. ..... **دعائم الإسلام** ، ج 01 ، د ط ، دئرة المعارف القاهرة ، 1963.

30. ..... **كتاب المجالس و المسايرات** ، تح : الحبيب الفقي و أخرون ، ط 01 ، دار المنتظر ، بيروت ، 1996 .

31. الوزان الحسن ، **وصف إفريقيا** ، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، ج02 ، ط 02 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1983 .

32. الونشريسي (أبي العباس أحمد بن يحي) ، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس و المغرب** ، إشراف محمد حجي ، د ط ، نشر وزارة الأوقاف المغربية ، 1981 .

33. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ، **البلدان** ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن المحروسة ، د ط ، 1980 .

ب / المراجـــــع باللغة العربية :

1. أحمد رضا ، **قاموس رد العامي إلى الفصيح**، د ط ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981.
2. أحمد رمضان أحمد ، **الرحلة و الرحالة المسلمون** ، د ط ، دار البيان العربي للطباعة والنشر و التوزيع ، جدة ، د ت .
3. بشير عبد الرحمان ، **اليهود في المغرب العربي** (22ه-462ه /462ه -1070هـ) ، ط 01 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، مصر ، 2001 .
4. بوحوش عمار ، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962** ، ط 01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 .
5. بوعزيز يحي ، **الموجز في تاريخ الجزائر** ، د ط ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 .
6. جرجي زيدان ، **تاريخ التمدن الإسلامي** ، مج 01 ، د ط ، منشورات دار مكتبة الحياة، دت .
7. الجنحاني الحبيب، **المغرب الإسلامي – الحياة الاقتصادية والاجتماعية** (3-4هـ)،دط، دار التونسية للنشر،تونس، 1978م.
8. جودت عبد الكريم يوسف ، **الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين** (09 – 10) ، د ط ، ديون المطبوعات الجامعية، د ت.
9. جيلالي عبد الرحمان بن محمد ، **تاريخ الجزائر العام** ، ج 01 ، د ط ، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 2014 .
10. حساني مختار ، **تاريخ الدولة الزيانية** ، ج 02 ، ط 01 ، در الحضارة ، الجزائر ، 2007 .
11. حسن حسني عبد الوهاب ، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا** ، ج 02 ، د ط، مكتبة المنار ، تونس ، د ت .
12. حسن علي حسن ، **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس** ، د ط ، مكتبة الخانجي ، مصر ، د ت .

13. حسين الحاج حسين ، **النظم الإسلامية**، د ط ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987 .
14. خربوطلي علي حسني ، **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية** ، د ط ، 1972 .
15. دفاع علي بن عبد الله ، **رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية** ، د ط ، مكتبة التوبة ، د ت .
16. زغلول سعد عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين** ، ج03 ، د ط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1990 .
17. زكي محمد حسن ، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى** ، د ط ، بيروت ، 1981.
18. الشامي صلاح الدين علي ، **الرحلة عن الجغرافيا المبصرة في الكشف و الدراسة الميدانية** ، ط 02 ، مكتبة المعارف ، الإسكندرية ، 1999 .
19. الصعيدي عبد الحكم عبد اللطيف ، **الرحلة في الإسلام أنواعها آدابها** ، ط 01 ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، 1996 .
20. ضيف شوقي ، **الرحلات** ، ط 04 ، دار المعارف القاهرة ، د ت .
21. الطمار محمد ، **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة** ، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2000 .
22. عبدلي لخضر ، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد** ، ط 01 ، دار ابن النديم للنشر والتوزيع ، 2011 .
23. العدوي ابراهيم أحمد ، **ابن بطوطة في العالم الإسلامي** ، د ط ، دار المعارف ، مصر ، 1954 .
24. العلوي هاشم ، **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري / منتصف القرن العاشر ميلادي** ، ج 01 ، د ط ، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية المغربية ، الرباط ، 1995 .
25. فركوس صالح ، **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال** ، د ط ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، عنابة ، الجزائر ، 2005 .
26. فيلالي عبد العزيز ، **دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الإسلامي** ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر .

27. قنديل فؤاد ، **آداب الرحلة في التراث العربي** ، ط 02، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة 2002 .

28. كراتشوفسكي اعناطيوس يولياس ، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، نقله إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم، ج01، د ط ، الإدارة العامة في جامعة الدول العربية، د ت .

29. كمال السيد أبو مصطفى ، **جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي** ، د ط، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 1996 .

30. محمدين محمد محمود ، **التراث الجغرافي الإسلامي** ، ط03، دار المعارف للطباعة والنشر ، الرياض ، 1999.

31. ..... **الجغرافيا والجغرافين بين الزمان والمكان** ، ط 02 ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1996 ،

32. موريس لومبارد ، **الإسلام في مجده الأول** ،تر و تع : إسماعيل العربي ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1979 .

33. مؤنس حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ، د ط ، مكتبة الأخـــوة للأعمال الفـــكرية، د ت.

34. نواب عواطف محمد يوسف ، **الرحلات المغربية و الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز القرنين السابع و الثامن الهجريين _ دراسة تحليلية _**، د ط ، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية ، 1996 .

35. هادي روجي إدريس ، **الدولة الصنهاجية** ، تر : حمادي الساحلي ، ج 02 ، ط 01 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1992 .

المذكرات الجامعية :

1. بوراس رفيق ، **الأوضاع الإجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية** ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي (مرقونة)، تحت إشراف : محمد الصالح مرمول ، قسم التاريخ والآثار ، جامعة منتوري قسنطينة ، السنة الدراسية: 2007 / 2008 .

2. بوعمامة فاطمة ، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين (7 – 9 هـ / 13 – 15 م)** ، رسالة دكتوراه (مرقونة) ، تحت إشراف: خالد كبير علال ، قسم التاريخ جامعة الجزائر ، السنة الدراسية: 2008 / 2009 .

3. شرابي يسمينة ، **الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري** ، مذكرة ماجستير (مرقونة) ، المشرف : الدكتور علي لطرش ، كلية الآداب واللغات ، جامعة البويرة ، السنة الدراسية : 2012 / 2013 م .

4. نميش سميرة ، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (07 – 10 هـ / 13 – 16 م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (مرقونة)، المشرف : عبدلي لخضر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبوبكر بلقايد بتلمسان، السنة الدراسية : 2013 / 2014 .

ج / المجـــــلات :

1. بلهواري فاطمة، النشاط الرعوي في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي، دورية كان التاريخية : دو رية إلكترونية –محكمة– ربع سنوية متخصصة في البحوث والدراسات التاريخية، العدد الثامن، يونيو2010 .

د / الملتقـــــيات :

1. عبد الواحد ذنون، **التبادل التجاري بين الموانيء الجزائرية والأندلس في القرنين الخامس والسادس**، أعمال الملتقى الدولي : الموانيء الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر.

هـــ / المراجع الأجنبية :

1. L, Golvin***Le Maghrib central à l'époque des Zirides,*** Paris, Ed. Arts,et métiersgraphiques 1954

الفهـــــــــــــــــرس

الفـــــــــهرس :

العنـــــــــــوان	الصفحة
مقدمـــــــــــة	01
المبحث الأول : فن الرحلة والأوضاع السياسية العامة بالمغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي	06
أولا : الرحلة والرحالة المسلمين	06
1 - مفهوم الرحلة	06
2 – أسباب ودوافع الرحلة	08
3 – نماذج لأشهر الرحالة والجغرافيين المسلمين في بلاد المغرب الأوسط....	11
ثانيا : الأوضاع السياسية العامة بالمغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي	17
1 – مفهوم المغرب الأوسط	17
2 – الإطار السياسي للمغرب الأوسط	19
3 – بعض مدن المغرب الأوسط	23
المبحث الثاني : الأوضاع الإقتصادية	27
أولا : الزراعة	27
1 – النظام الزراعي	27
2 – طرق الزراعة	31
3 – إزدهار الزراعة	32
ثانيا : الصناعة	36
1 – إزدهار الصناعة	36
2 – أهم الصناعات	37
ثالثا : التجارة	38
1 – شبكة الطرق والمسالك	39
2 – الأسواق	42
3 – التجارة الخارجية للمغرب الأوسط	46

المبحث الثالث : الأوضاع الإجتماعية	49
أولا : طبقات المجتمع	49
1 – الطبقة الحاكمة	49
2 – طبقة الجند	51
3 – طبقة التجار.....	52
4 – طبقة العامة	53
5 – طبقة العبيد	53
6 – أهل الذمة	55
ثانيا : مظاهر الحياة العامة للسكان.....	57
1 – اللباس والطعام	58
2 – العادات والتقاليد	63
ثالثا :المرأة في المجتمع المغاربي	66
1 – مكانتها	67
2 – المرأة والزواج	68
خاتمـــــــــة	71
الملاحـــــــــق	73
بيبليوغرافيا	79
الفهـــــــــرس	88